١٩٩

HARLEQUIN

روايات احلام

ومضى طائر العمر
www.rewity.com

كيت والكر

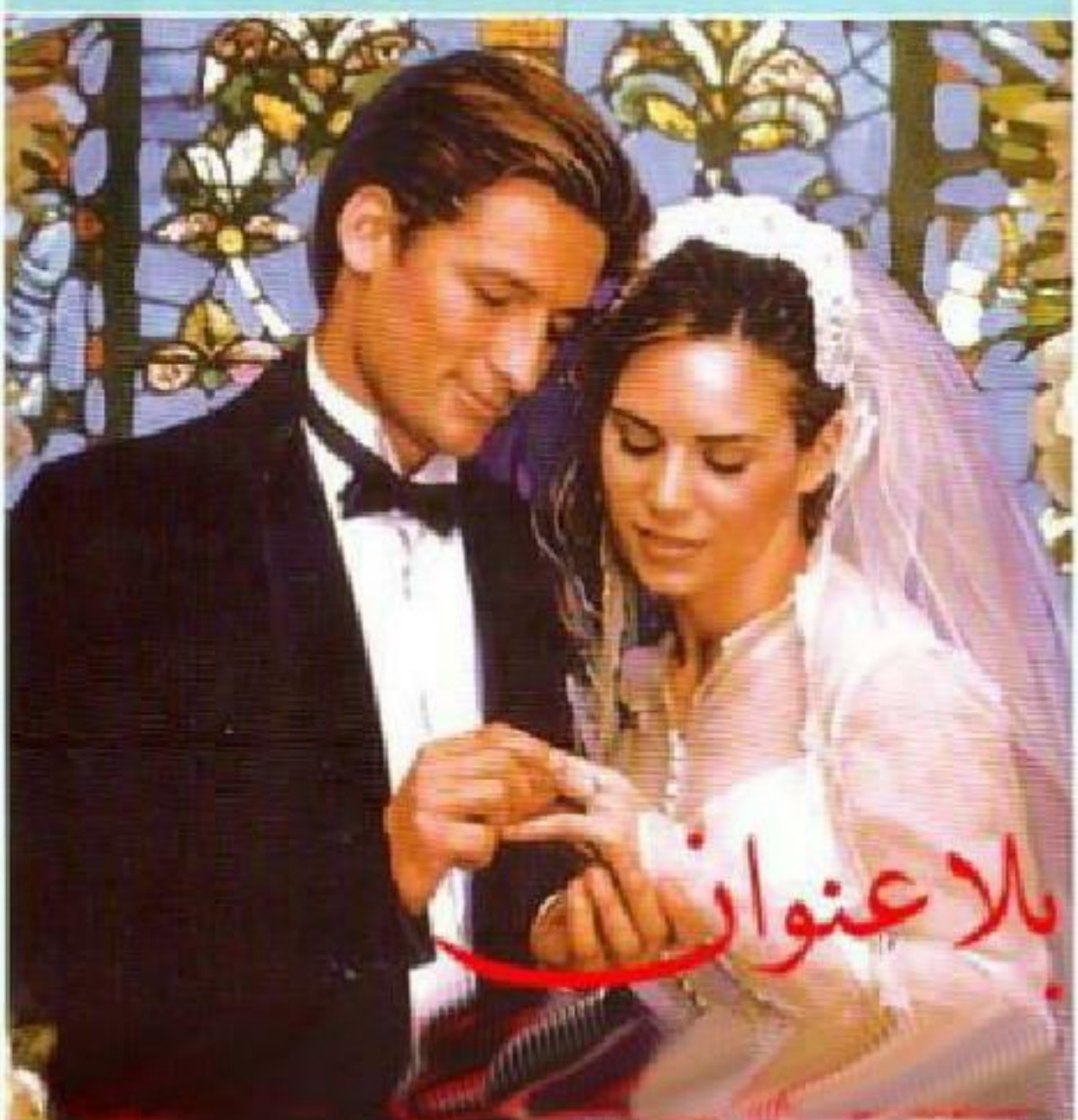

بلا عنوان

ومضى طائر العمر

- تزوجني وسأنقذ شركتك!

كانت سينا رشفور تحتاج بيأس إلى زوج! والرجل الوحيد الذي لجأت إليه هو كير اليكساندر... مع أنها لا تكاد تعرفه!

لكن كير لم يكن رجلاً يرضى بدور «الزوج المأجور»، وعندما وافق على العرض سيكون في رأسه أفكار أخرى...

بدا الأمر كمسرحية يستمر عرضها لسنة واحدة... فهل تستطيع سينا لعب دورها بنجاح، أم تسقط في التجربة قبل دقات النهاية!

بلا عنوان
www.reuity.com

١ ـ أريد زوجاً

ـ تريدين ماذا؟

عبرت تعابير وجهه عن كل شيء. هذا ما فكرت فيه سبّانا بتعاسة. ولم يكن بحاجة إلى النطق بكلمة واحدة. فعدم التصديق، والصدمة، والكراهية لاقتراحها كانت مسطورة بوضوح على قسمات وجه كير أليكسندر القاسية وهذا أوضح كل الوضوح ما يشعر به.

كرر: «تريدين ماذا؟».

ازدادت حدة صوته مع كل كلمة، أما عيناه البنيتان العميقتان فراحتا تحدقان إلى عينيها الزرقاوين الخضراوين بلهفة.

ـ أنا.. أريد منك أن تتزوجني.

وبدا كلامها أسوأ بكثير في المرة الثانية.. أصعب للتصديق، وأكثر استحالة.. ولم تصدق أنها تملك الجرأة لتطلب منه مرة واحدة، فما بالك وقد تمكنت من تكرار طلبها.

لو استطاعت سحب كلامها، لفعلت.. إنما لا بديل أمامها.. لقد بذلت كل ما في وسعها وفكرت في كل رد محتمل. لكن لا أحد منها نجح.. إما كير، وإما لا أحد سواه.. إنه فرصتها الأخيرة وإن لم يوافق على مساعدتها، فستضيع وتنتهي.

ـ أبداً أيتها السيدة! أبداً.. أبداً!

إنه عنيد لا يلين.

ـ لكن..

ـ قلت لا!

ـ لكن كير...

لكنها باتت تخاطب ظهره، وما هي إلا لحظة حتى أصبحت تخاطب الهواء الفارغ لأنه صفق الباب وراءه. لقد دخل عنها كير وتبذها من دون أن يلقي نظرة إلى الوراء.. أغمضت عينيها وتنهدت تنهيدة عميقة، ثم غارت في أقرب مقعد.

سألت نفسها وهي تهز رأسها الأسود الشعر بقنوط: والآن.. ماذا ستفعل؟ ليس هناك ما تستطيع أن تفعله.. ولم تظهر عليها الجنية الصالحة ملوّحة بعصاها السحرية لتصلح الوضع برمّته.. عندما فتحت عينيها ظل كل شيء على حاله، والمستقبل مظلم، كئيب، ليس في نهايته بارقة نور.

إنها أمضت سنة مرّت بها وما زالت في شهر تموز. أولاً، دين، ثم خسارة عملها كخبيرة عطور بسبب إقفال صالون التجميل الذي عملت فيه.. تبع ذلك اكتشافها أن أمها معتلة الصحة منذ مدة. وهي تعاني من تشاف الأنسجة.. وفوق كل هذا، أعلمها صاحب الشقة التي تسكنها مع أمها أنه سيبيع المبنى. ولقد خطط المالك الجديد، لتحويله إلى مكاتب لذا عليها الانتقال بسرعة.. بسرعة.

آه!.. هذا غير عادل! ضربت سيّانا راحتها بقبضة يدها الأخرى إشارة إلى مدى إحباطها وكربها.. يجب أن يكون لأمها بيت.. مكان تستطيع العيش فيه في راحة وأمان. وهذا المكان موجود.. إنما لن تحصل عليه إلا إذا وفت بالشروط. والآن، بعد ما رفض كير طلبها، تدمرت آخر الفرص المتاحة أمامها، والأهم أنها لن تراه مجدداً.

لم تعرف كم بقيت جالسة هناك، ضائعة في بؤسها.. لم يكن لديها فكرة كم من الوقت مرّ قبل أن ينبهها جرس الباب. أنكارها اليائسة أغرتها بتجاهل الجرس.. لكن عندما أصبح من الواضح أن الطارق وضع إصبعه بثبات على الزر، وينوي البقاء هكذا حتى إشعار آخر، أجبرت نفسها على الوقوف وسارعت تنزل الدرج لتفتح الباب بقوة.

لم تستطع أن تصدق المنظر الذي واجهها. كان كير أليكساندر واقفاً عند الباب، عالي الرأس وقبّعته مشدوده القسمات، وكل عضلة في جسمه الطويل القوي تنذر بمقاومة متوترة.

قال بصوت بارد قاسي كسكين مشحوذ: «حسناً.. ابدئي الكلام.. أقنعيني!».

وتكلمت سيّانا كما لم تتكلم قطّ. لم تصدق أنها أعطيت فرصة ثانية.. لكنها ستتمسك بها بيديها الاثنتين وستقوم بما في وسعها لئلا تخسر هذه الفرصة.

وبينما هما يصعدان الدرج إلى الطابق الأول حيث تعيش مع أمها استهلت الحديث:

ـ أعرف أنها ليست الطريقة المناسبة، وأعرف أنه لا يحق لأي منا أن يفعل هذا.. ليس لي عال الحال على أية حال، كما أعرف أنه ليس بالتأكيد الزواج الذي لطالما حلمت به إنما لا أجد للمتسول الاختيار، فلا وسيلة لي للخروج من هذا المأزق إلا عبر هذه الطريقة.. وإن لم توافق على مساعدتي، فلن ألجأ إلى أحد سواك.

لم تستطع أن ترفع نظرها إليه. فتقدمته إلى غرفة الجلوس الصغيرة التي غادروها مسرعاً قبل قليل، وهي تعي بألم أنه لم يمض سوى أسابيع قليلة على زيارته الأولى إلى منزلها.. وشهرين تقريباً على لقائهما الأول.

ـ تعرف كم هي أمي مريضة.. وقد تزداد حالتها سوءاً.. لذا، يتحتم علي أن أعثر على منزل نقيم فيه حتى يتسنى لي أن أعتني بها خير عناية..

ـ هكذا، من الطبيعي أن ترغبي في منزل أبيك؟

ـ أجل.

جاء صوتها منخفضاً تتخلله نبرة ارتجاف وكأنه لا يزال حافلاً بصدى أحاسيس راودتها، فهي لم تنسَ بعد كيف اتصل بها المحامي دون سابق إنذار.. ولشد ما ذهلت حين اكتشفت أن والدها، ذلك الرجل الذي هجر والدها من قبل أن تولد، قد أصيب بنوبة ضمير متأخرة، وقرر أخيراً أن

www.rewity.com

يعترف بها . . وبما أن زوجته توفيت منذ بضع سنوات، ولا أولاد لهما، فقد ترك لسيانا كل ثروته . لكن شرطاً مرعباً ظل يقف عائقاً في وصيته .

ـ لولا أن . . أندرو ناش لم يترك لي كل ذلك المال، لما عثرت على مخرج من هذا المأزق أبداً . ولولا وضعه لذلك الشرط، لما اضطررت لتوريطك .

أخيراً صمتت سيانا واستدارت لتواجه كيرت وقلبها يخفق بشدة . كانت الرموش الكثيفة تظلل عينيه، فلم تستطع أن تقرأ فيهما ردة فعله . أما يداه فدسهما في عمق جيبي بنطلونه الأسود . لكن تصلب كتفيه لم يترك مجالاً للشك، فتبينت حينها العدوانية، والمعارضة، لكل كلمة قالتها .

ـ أتخيل أن الشرط هو زواجك . . كما اقترحت؟

ـ هذا صحيح . . في رسالته كتب لي أنه أمضى حياته يتمنى لو أنه أحسن الاختيار قبل سنوات طويلة . وأضاف أنه أدرك بعد فوات الأوان أن حبي وحب والدي، كان ليشكل له عائلة تفوق أموال زوجته أهمية . . لذا وضع شرطاً وحيداً مقابل حصولي على الميراث : أن أنعم بحياة زوجية سعيدة .

ردد كير بسخرية :

ـ تنعمين بحياة زوجية سعيدة؟ . . ومن يحكم على هذا؟

ـ إنه . .

وسكتت . كيف تتلفظ بكلمة «عمي» على لسانها؟ فقد مرت خمسة وعشرين سنة على حياتها وهي مقتنعة تمام الاقتناع أن لا عائلة لها . ومن الصعب عليها أن تتقبل فجأة أن لديها «عم» . . يتحكم بمستقبلها ويحدد مصيرها . لكنها ما لبثت أن أكملت :

ـ إنه أخوه . . فرانسيس ناش، إليه تعود الكلمة النهائية، وهو وحده يتحقق من تنفيذ الشرط . لكنه لا يعرف شيئاً عني . . ولم يرني قط . . أضف إلى أنه لن يصعب علينا أن نقنعه بأن . . أن . .

ـ أن حياة عاصفاً أطاح بنا، وأننا لا نطيق صبراً للتزوج؟

ـ هذا صحيح .

تجاوز صوتها الهمس بدرجات قليلة، ومرة أخرى، حوّلت عينيها عن

نظرته الباردة، للكفهرة، التي استقرت عليها وكأنها نموذج حي لزجاجة في مختبر، تنتظر أن يحللها .

ـ هل . . ترغب في شراب ما؟ هناك قهوة . .

ـ من الأفضل ألا أتلهى بشيء عن هذا . .

هل يعني هذا أنه سيمعن النظر ملياً في الموضوع؟ ولم تجرؤ سيانا على السماح لهذه الفكرة أن تتغلغل في رأسها .

ـ إذن، تريدين مني أن أمثل دور العريس المخلص؟

تلفظ بهذه الكلمات وكأنه يتقبل مكرهاً على أسوأ مهمة كُلف بها في حياته، وكأنه يفضل أن تطلق رصاصة في رأسه . . أو يقدم على أي شيء آخر عدا ما تطلبه منه .

ـ أن تكذب؟ ألا تعرفين أن الكذب لا يجر إلا الكذب؟ وقبل أن ينتهي الأمر تكونين قد غرقت في وحل من الكذب، يجذبك إلى الأسفل من دون أن تجدي سبيلاً للنجدة .

ـ لكننا لن نكذب! ليس حقاً . . صرنا شخصين متلازمين في أعين الناس . . ولقد شوهدنا معاً بما يكفي . . ولن يختلف الأمر عما نحن عليه الآن . . لن يختلف!

سارع يفهمهم بصوت أجش وكأنه لم يصدق كلمة واحدة من قولها . . لكنها أكملت :

ـ أنت تأتي إلى هنا كل ليلة تقريباً . . فماذا لو طلبت منك أن تسكن معي؟

ـ أعرف أنك تعتبرينني كأمر مسلم به . . سيدتي!

حاولت سيانا بائسة أن تستعيد السيطرة على الموقف وقد عرفت أن زمام الأمور بدأ يفلتُ من يدها .

ـ كير . . هذا مجرد افتراض! كلانا يعرف أن علاقتنا ليست على هذا المستوى . . وأنها على الأرجح لن تكون . لكن الفارقة أننا الوحيدان اللذان يعرفان هذا . . وما بيننا حتى الآن مُرضٍ . . أليس كذلك؟

لم تلمح في وجهه المتحجر أي تشجيع . . فما كان في وسعها إلا أن تثابر

www.rewity.com

على المقاومة، من غير أن يشق الناس طريقه إلى قلبها.

- إننا نعرف أن هذا الزواج لن يكتب له النجاح. حينها يمكننا الافتراق لنقل بعد سنة.. ويذهب كل منا في طريقه.. من دون تراجعات، ولا ندم، ولا تعقيدات.

قال كير ببرودة متعمدة:

- لكن الاتفاق نفسه مثقل بالتعقيدات. أنسيت أن وثيقة الزواج تعقد الأجواء يا حبيبتي؟

توسلت إليه.

- لكنه حل مؤقت، يجب أن تفهم هذا! لن يعني شيئاً لأي منا.. لذا لا داعي للقلق، لن يترك الموضوع فينا أثراً! إذ لست مضطراً للالتزام لأكثر من سنة.. إنها اثنا عشر شهراً فقط، ثم يذهب كل منا في طريقه.

- تصورين الأمر وكأنه غاية في البساطة.

- لأنه بسيط فعلاً! ولا يعقل إلا أن يكون على هذا الشكل.. على أي حال، أنت لست مجنوناً يحبني، والعكس صحيح.. و..

وتلاشى صوتها الذي أصبح صمتاً مرتبكاً. وفجأة انتزع كير يده منها وابتعد لينظر من النافذة، يدعي إعجاباً زائفاً بالسيارات المارة في الشارع.

وما لبث أن تمتم ببطء: «يمكن أن ينجح هذا».

هل يعقل أنه سيوافق؟ لم تعرف سيانا هل كانت تأمل بموافقته أم أنها تخشاها برعب.. بدت غارقة في بحر من الأفكار المضطربة.. لكنه ما إن استدار فجأة ليواجهها، حتى تجمدت كالقطة المجتلة:

- ماذا بالضبط.. قد أحصل من هذه الصفقة؟ أعتقد على الأقل أنك ستقدمين لي عرضاً ما.. مكافأة على تعاوني، تعويض عن فقداني لحريتي.

- طبعاً.

وابتلعت سيانا ريقها بقوة. لقد توقعت هذا. وعرفت أنه ما عاد إلا للبحث فيه. لكنها لم تعتقد أنه سيكون بارد الدم هكذا.

وما هي إلا ثوانٍ معدودات حتى اختلج قلبها: أيتها الحمقاء! ماذا كنت

تتوقعين؟ أن يعطف عليك؟ أن يخبرك أنه تحت أمرتك، وأنه لا يتوقع شيئاً في المقابل؟

بالطبع لا.. يجب أن تعرض على كير ثمناً مقبولاً مقابل مساعدتها، لطالما عرفت هذا. لكنها لم تكن مستعدة للطريقة التي طالب فيها بحصته وكأن التعويض هو كل ما يعنيه لا هي.

وحين لم يسمع كير صدىً لسؤاله، أكمل بخشونة:

- إذاً؟

- أنت.. تذكر ما أخبرتني به عن الأسهم في شركة أليكسندر؟

في المدة الأخيرة، اندهشت للصراحة التي تكلم بها وهو يذكر لها تفاصيل حياته، فلطالما كان رجلاً يحتفظ بأسراره لنفسه، ويختصر الحديث ضمن مواضيع ثابتة، محددة وبسيطة، لا تستدعي أي تورط من الطرفين.

لكن.. منذ ثلاث ليال فقط، كشف لها عن بعض المشاكل التي يعاني منها في شركة النقل حيث كان مالكاً جزئياً، ومديراً في الوقت نفسه. ثم خلّ زوجة أبيه المرحوم الثانية المسؤولية الكاملة.

كانت شركة أليكسندر مؤسسة عائلية.. يملكها أولاً والد كير، دوف. وحين تولى كير إدارتها كانت لا تزال مشروعاً صغيراً صغير الحجم. ومع أنه لم يكن قد بلغ الواحدة والعشرين من عمره، وتخرج حديثاً من الجامعة، إلا أنه أمسك جيداً بزمام الشركة وجرّها إلى الأمام لتواكب تطورات أواخر القرن العشرين.. في السنوات الاثنتي عشرة التي تلت، استطاع أن يحولها إلى نجاح عالمي ضخم.. ومن المستحيل أن يسافر المرء اليوم إلى أي مكان في أوروبا أو في العالم، من دون أن يقع على وسائل نقل أليكسندر المميزة بلونيها الأحمر والأخضر، في مكان ما على الطريق.

- هل جمعت المبلغ الذي تحتاج إليه لشراء أسهم زوجة أبيك؟

وسرعان ما جاءها الجواب حين اعتلت تقاسيم وجهه غمامة غضب أسود.

- لقد جمعته، لكنها عادت واختارت المراهنة.. تقول إن مشترياً آخر يلح

www.rewity.com

عليها. وإذا تم هذا البيع لن تعود شركة الكسندو مؤسسة عائلية أبداً.

- وهذا مهم بالنسبة لك؟

وما إن تفوهت بسؤالها حتى رماها بنظرة للدعتها من رأسها حتى أخمص قدميها وكأنها مشحونة باحتقار لها ولغبائها.

- شركة الكسندر بل.. في سيانا.. وأنا لست سعيداً لأن أراها فريسة لأعدائي أو غنيمة لمنافسي. لقد وعدت والدي بهذا، وسأحافظ على وعدي ولو كلفني هذا غالياً.

- لكن، ماذا لو بقيت زوجة أبيك تطالب بالمزيد؟

وفي لحظة، ازداد كير عبوساً واسودّ وجهه أكثر من قبل.

- إنها تعرف تماماً كم استثمرت مالاً من أجل تحديث الشركة. لم أكتف بشراء معركيات جديدة بل ابتعت كومبيوترات أيضاً، وأمنت كل اللوازم خلال السنة الماضية.. مع الوقت، سيثمر توظيف المال هذا، مئات مضاعفة.. لكن في الوقت الحاضر استنزفت أموالي إلى الحد الأقصى... ونعرف لوسيل هذا.. اللعنة عليها!

- وإلى كم تحتاج من الوقت؟

- سنة، وربما أقل.

تكهنت سيانا بالجواب ما إن رأت التغيير الماكر في تعبير وجهه وتفاجأت بعينيه السوداوين تجولان على وجهها، بتقويم مقصود.

- وهل هذا ما ستعرضينه عليّ؟

كان هذا أشبه بتصريح، وليس سؤالاً. وقد لمست سيانا قناعة كاملة ترن في صوته، كما قدرت أن عقله يزن بدقة وبكر ما له وما عليه، ثم يحلل الفكرة بمزيج من الحذر والحيث.

- كير.. سيحولني إدني إلى امرأة ثرية، وسأحقق أكثر أحلامي جنوناً.. كما سأتعم مع أمي براحة كاملة.. هذا إلى أنني سأتمكن من مساعدتك أيضاً.. أوه.. لا تقل لا؟

كان على وشك أن يرفض.. أدركت هذا بمجرد النظر إليه. أبعد كل

هذا الأمل وتلك الصلوات؟ أتضيع منها الأحلام بعد أن كادت تصبح في متناول يدها؟ أيعقل أن يظلمها القدر مجدداً ويتنزع منها أكثر آمالها جنوناً؟ وفي آخر دقيقة.

- كير.. أرجوك.. لا تقل لا! رد لي المبلغ إذا أحببت. لكنني قادرة على إعطائك المال الذي تحتاج إليه، وتستطيع بدورك أن تساعدني.. أنا بحاجة لهذا.. وأنت كذلك!

ماذا يجري بالضبط داخل هذا الرأس المشتعل بالأفكار؟ كيف يعمل هذا العقل الماكر؟ أحست سيانا وكأنها متهم في محاكمة رهيبة. وكأنها تقف أمام منصة المحكمة فيما كير هو القاضي والحكم في الوقت نفسه، وهو أيضاً محامي الادعاء، الذي يوشك على مهاجمتها.

ومرت ثوان، ربما هي أطول للاثنين ثانية من حياتهما، والبت فيها الوضع واستقرت وراقبته يفكر، يتنافس مع نفسه، يزن الأفكار تارة، ثم يرفضها بسرعة تارة أخرى. أخيراً.. سحب نفساً عميقاً مضطرباً.. أجابها ببطء:

- عندي شرطان.

- أي شيء.. أي شيء مقابل موافقتك؟

مد إصبع يده اليسرى:

- الشرط الأول.. أن تقيم زفافاً ملائماً.. وبعد كل ما يلزم.. حفلاً، زهوراً، شموعاً، وإلى ما هنالك.

- كما تريد.. والشرط الثاني؟

- بعد حفل الزواج اللائق أشترط أن يكون زواجنا حقيقياً.. ولن أقبل بأي شيء آخر.. إذ ما من طريقة أخرى تقنع بها أحداً أن هذا الزواج وليد الحب. وهكذا نظهر معاً، كما اشترط والدك في وصيته حقاً. هيا، اختاري، كل شيء، أو لا شيء.

كل شيء أو لا شيء.. منذ لحظة التقيا، عرفت أن كير يرغب بأن تتحول علاقتهما منحى آخر.. ولم يخف هو الرغبة التي يشعر بها نحوها.. أما هي فكبحت مشاعرها وأخذت تقنع نفسها أن القبول هو خير حكمة تنفذها الآن.

www.rewity.com

عرفت أنها لن تستطيع إنكار تأثيره فيها، فمنذ أول لحظة رآته فيها، غمرتها أحاسيس لم تشعر بمثلها من قبل. وبلحظة واحدة قلب عالمها رأساً على عقب، واستحال تياراً قوياً جرف معه اعتقاداتها الراسخة وإيمانها الوطيد فنسيت في ثانية من هي وكيف تتصرف.

من الصعب أن تتعامل مع هذا الإحساس، فهي لم تشعر بمثله مع دين. دين الذي أحبته، وصدقته، ووثقت به.. دين الذي سحق قلبها، ومع ذلك لم تشعر معه يوماً، بهذه المشاعر المجنونة التي استطاع كير أن يشعلها فيها بمجرد نظرة أو لمسة.. لم تستطع أن تفهم كيف تنجذب إلى رجل لا تكاد تعرفه، أو تكن له عمق المشاعر وأصدقها.

لكن، ربما تخلصها هذه الإثارة بحد ذاتها من تلك الورطة.. وربما تكفي هذه الاستجابة المربكة التي تشعر بها نحوه كي تمثل معه لعبة الزواج المثالية حتى يتضح لكل المراقبين أنهما واقعان في غرام جنوني.

مع ذلك لم تقوَ سيانا على الرد بل انطبقت حنجرتها على عقد عاطفية قوية فما كان منها إلا أن هزّت رأسها إيجاباً وهي غير قادرة على النفوه بكلمة واحدة.

سألها: «موافقة؟»

ـ أنا.. أوافق.

وما إن استطاعت أن تتلفظ بهاتين الكلمتين حتى انقشع أمامها الغموض وظهرت الحقيقة الكاملة لتعصبها بلمعانها. لم تصدق. أيعقل أن يكون صحيحاً؟

حاولت أن تربط بين أفكارها المشتتة ثم ما لبثت أن شهقت قائلة:

ـ زواج لائق! وزواج حقيقي بعد الزفاف؟ كير.. هل تعني.. إنك توافق على اقتراحي؟

رماها بنظرة جارحة فعبق الجو بالتوتر، وارتعد كل عصب من جسمها.. ثم تلونت نظرته بمزيج من الشوق والقلق، والحب المشبوب.. ولكنها بدت أكثر من أي شيء آخر، مليئة بالعاطفة المتأججة.

ـ أجل سيانا.

رفعت سيانا عينيها بعدم تصديق. وفجأة اختفت العاطفة المتأججة.. وتلاشت عن وجهه وكأنها لم تكن أبداً. بدت لهجته خالية من أية عاطفة، وقد سيطر عليها حتى باتت فارغة غير مكترثة. ثم حدقت إلى عينيه، فإذا هما منحوتتان من مرمر أسود وباردتان خاليتان من الحياة.

ـ أجل.. أوافق على طلبك.. مقابل هذه الشروط.. نعم أجل.. سأتزوجك!

* * *

www.rewity.com

٢ ـ وبدأت المسرحية!

ـ حسناً.. لقد فعلناها!

كانت سيّانا مقطوعة الأنفاس، مع ذلك، حفل صوتها بمزيج من الانتصار والراحة، والذعر المتوتر. تراجعت تدعو ربّها لئلا يكتشف كبر أمواج مشاعرها هذه، منعكسة في لمعان البحر الأزرق في عينيها. ثم استدارت إليه وهي تحاول جاهدة أن تخفي توترها خلف ستار من الابتسامات الزائفة.

ردد كبر بوقار: «حفلاً ناجحاً».

لكنه أحجم عن الابتسام بل اكتفى بأن رمقها بنظرة سوداء ثاقبة، ثم أكمل:

ـ لكن هل سننجو بفعلتنا؟ هذا هو السؤال الحقيقي..

ـ لا تكن سخيفاً!

تفوهت سيّانا بهذا التوبيخ وهي تحاول أن تبدو في منتهى اللامبالاة. في هذا الوقت، أخذ قلبها يهبط بشدة فيما صدرها يعلو ويهبط باستمرار.

ـ بالطبع سننجو! ولماذا لا ننجو؟ لا تقل هذا، يبدو وكأننا ارتكبنا إثماً فظيعاً.

ـ أولم نفعل؟

ما إن سمعت لهجته حتى غادرها الإحساس بالنشاط، ليتركها أسيرة للخيبة والهزيمة.

ـ لا.. لم نرتكب إثماً فظيعاً!

وهنا سرت في يدها قشعريرة انتزعت منها الثقة والقناعة التي أرادت إضفاءها على كلماتها.

ـ وهل أنت واثقة من هذا؟ لقد يصنّف أحدهم هذا الزواج كاحتيال.. أو على الأقل، كمحاولة رخيصة لانتزاع المال من أملاك ناش.

ـ أنا لم أخدع أحداً! أو نسيت أنني من عائلة ناش؟ تربطنا صلة الدم.. وأذكرك أن والدي هو الشخص الوحيد الذي يحق له أن يشعر بالخداع، أو بالأحرى، لأمكننا أن نعتقد هذا لو كان حياً.. وبما أنه لم يهتم بوجودي يوماً، فأنا أشك كثيراً أنه سيتزعج من تصرفاتي.

ثم ألقت راحتها على فواه كبر، ورفعت نظرها إلى وجهه النبوي المليح، القاسي العضلات.

ـ ألا تقل لي إنك تعيد النظر في قرارك في هذه المرحلة المتأخرة؟

ـ لا أسميها إعادة نظر.. لا.

مرر أصابعه القوية على شعره المتغلغل في سواده المتلألئ، ثم أردف:

ـ لكن.. لو أننا صادقان مع نفسينا، لقلنا إننا نخادع كل الناس الموجودين هنا.

وبحركة بسيطة من رأسه، أشار إلى الباب في أقصى الغرفة وأضاف في إشارة واضحة:

ـ خاصة أمك.

ـ لكنني أفعل هذا من أجل أبي.

ذكره سيّانا بهذا، وهي تحاول أن تكبح عنفها حتى لا يسمعها أحد. وفجأة انفتح الباب ليكشف عن فرقة مكتظة بالمدعوين.

ـ وأنت...

لكن لم تتح لها فرصة للمتابعة. ففي تلك اللحظة اخترق صوت مرتفع جمهور الضيوف فأسكتهم فوراً.

ـ سيداتي سادتي.. أرجو منكم الصمت إكراماً للعروسين!

ـ أوه.. يا إلهي!

www.rewity.com

داهمت سيانا المفاجأة، وانطلقت في فورة نشاط إلى المرآة حيث ألقت نظرة أخيرة إلى نفسها، فاطمأنت إلى ثبات طرحتها وتسريحة شعرها ولم تنسَ أن تتأكد من تبرجها الذي لا يزال ممتازاً رغم مضي أكثر من أربع ساعات على زينتها. . فلآلئ ناعمة بلون البيج زادت من إبراز عينيها اللوزيتين، والماسكارا زادت من كثافة رموشها. أما اللون الوردي الداكن على شفتيها المكتنزتين، فقد خبا قليلاً، وبدت وجنتاها المرتفعتان بدورهما باهتتين تقريباً. لكن، لم يكن بوسعها أن تفعل شيئاً الآن. . وبات كل أملها أن يرد ضيوفها سبب شحوبها إلى الإثارة أو التوتر.

وبنت على خدها قليلاً، في محاولة لترفع الدم إليهما حتى يزدادا حمرة وتورداً. ثم استدارت إلى كير. . كان يتفحصها بنظرات سوداء. . بذلت ما بوسعها كي تمنحه ابتسامة مفتعلة وهي تعي جيداً أن بسماتها متكلفة مصطنعة.

سألها: «مستعدة؟».

ومد يده لها.

فما كان من سيانا إلا أن تمتمت بمهمهات تشبه الموافقة، ثم قبضت على أنملة فستانها الطويل بأصابع مرتجفة. . كان ثوبها قد خيط من أفضل أنواع الأقمشة الحريرية المخرمة. وهو ثوب ورثته عن جدتها التي ارتدته يوم عرسها منذ أكثر من خمس وخمسين سنة. ثم انتقل الفستان من الأم إلى الابنة حتى وصل إلى سيانا. كان ملفوفاً بحرص في طيات ورق ناعم لبقيه تأثير النور وبحميه من اصفرار اللون. فارتدته العروس، لأنه كما قيل لها، يضفي على حياتها لمسة من الحب الذي جعل زواج المرأة العجوز سعيداً.

أما بالنسبة لوالدة سيانا كارولين، فلم تنعم بنهاية سعيدة. . ولم تُتم لها مراسم عرس. . فوالد سيانا متزوج، ولم يكن ينوي أن يترك زوجته من أجل تلك الساذجة ابنة الاثنين والعشرين ربيعاً التي بلغ بها الغباء أن تكون ضحية مغامرة عطلة سعيدة.

ـ سيانا. .

جاء صوت كير مرتفعاً، مؤنباً ليستلها من أفكارها.

ـ ضيوفنا في الانتظار!

وظل يمد يده إليها بتعجرف وغطرسة، وكأنه يطالبها بطاعة فورية. وللحظة قصيرة، تصاعدت نكرة التمرد في رأسها. . لكنها صرفتها عنها على الفور.

عليها الآن أن تنقيد بكل التقاليد، وأن تلتزم بقوانين اللعبة حتى تقنع الجميع أن هذا هو زواج الحب لهذا القرن. . كير وسيانا. . الوريثان الوحيدان لأنطوني وكليوباترا، بطلا أروع قصص الحب في كل الأزمنة.

هناك، في غرفة الطعام الأنيقة، خلف الباب المزدوج الكبير، يقف فرانسيس تاش، شقيق والدها الراحل، والقريب الوحيد الباقي على قيد الحياة. وإذا لم يقتنع بغرامهما العاصف وبزواجهما السعيد فإن اللعبة ستنتهي لا محالة. وإن أتت سيانا على حركة خاطئة واحدة فستدمر فرصتها الوحيدة التي ستؤمن بها لأمها حياة مريحة آمنة.

وهكذا تصنعت الابتسام مجدداً. . وبنجاح أكبر هذه المرة، استقامت بطولها الفارع ويدها غارقة في يد كير.

قالت: «أنا جاهزة. . دعنا نذهب».

وفي لحظة ألصقت الأصابع القاسية على أصابعها. . ولم تعرف سيانا هل يشجعها أم يحذرها من المغامرة.

أجاب كير بصوت أجش، غير متوقع:

ـ تعالي إذن. . دعينا نرفع الستار عن هذه المسرحية.

ومن دون أن يمنحها وقتاً للتفكير، أدارها بسرعة وشدها بيده، ثم اقتادها بقوة إلى الغرفة، دون أن يترك لها أي خيار سوى أن تتبعه. . فإما أن تختار هذا وإما أن يجرها بشكل محرج في مسيرته المتعجرفة.

عند الباب توقف كير فجأة. . ثم رفع رأسه إلى الأعلى، وراحت عيناه السوداوان تجولان على هذا الجمع الغفير، الذي تعالت همهماته تحية للعروسين. . أما سيانا المحجوزة فلم تستطع، في خضم دهشتها، إلا أن تتجنب الاصطدام بظهره العريض المستقيم.

www.rewity.com

ثم امتدت يدها الحرة تلقائياً لتحافظ على توازنها، وأطبقت على عضلات ذراعه المشدودة وونست ارتباك إلى جانبه. ثم كبر بصوت منخفض:

- ممتاز! نحن الآن نبدو كعروسين مثاليين، تماماً كهذين التمثالين السخيفين اللذين يزينان قالب الحلوى.

- أنا...

لكنه تجاهل احتجاجها المختنق وأومأ برأسه إلى ونيس الستاف، وكأنه يأمره بمتابعة حفلة الاستقبال.

- سيداتي سادتي... اسمحوا لي أن أقدم إليكم السيد والسيدة كبر أليكساندر!

هذا كثير... وارتفع رأس سيانا بحدة. كانت عيناها الفيروزيتان ترفضان طريقته بالإعلان عن وجودهما.. لذا تنحنحت، مع تصاعد التصفيق والتحيات:

- سيد كبر أليكساندر وسيانا شفوردا أنا..

لكنها لم تستطع أن تتابع كلامها، فقد سحبتها كبر بين ذراعيه وأخذ يتمتم بلطف، ثم شدها إليه، وعانقها بقسوة.

- كبر!

تلفظت باسمه كوسيلة احتجاج، ولكن ذلك ضاع إذ عانقها مجدداً عناقاً كله تصميم وقسوة.

- يبدو أن كبر قد أمسك بالنمر من ذيله.

كان هذا أخا كبر غير الشقيق وسمعته سيانا يرفع صوته وكأنه يقصد أن يسمعه الآخرون، فحاولت أن تكبح جماح غضبها رغم التسلية الشريرة التي لمستها في نبرته.

- لنأمل ألا تكون اللقمة أكبر مما يستطيع أن مضغه.

أحست سيانا بالتوتر يصيب كبر، حتى أصبح جسمه جداراً لا يلين، وبدا كأنه يؤلمها بمجرد ضغطه عليها. لذا، كان من الصعب أن توازن بين

أسرار مشاعرها، وبين هذا التراخي الذي أحست به حين توقف عن معانقتها.

همس لها: «أتريدين لهذا أن ينجح أم لا؟»

- طبعاً..

- إذن عانقيني!

- كبر..؟

نفى الارتياك عنيها، وأضحى صوتها مجرد خيط مرتجف زاده الارتياك نعومة وتوتراً.

- عانقيني!

وقبل أن تستجمع أفكارها، أطبق عليها بقسوة ولكن لقاءهما هذه المرة كان لطيفاً خادعاً، تتخلله لمسة حنان وشوق. فضاعت أحاسيسها في فلكه، واختلج قلبها حتى باتت خفقاته ثقيلة واهنة.

إن ذراعه القوية التي كانت وراء ظهرها هي التي منعتها من الانهيار. وفجأة أحست أنها ستذوب تماماً. وبين لحظة وأخرى، تستحيل بركة عسل دافئة تحت قدميه.. أحست وكأنها تطوف في هذا العالم الخيالي، فيما لولب حارق من المشاعر يجول حائراً في أعماقها. أرادت أن تشعر بلمساته وانشغلت بذراعيات يديه على وجهها. ليتها تعود إلى تقبيلها!

لكنها، عوضاً عن ذلك، اعترفت لنفسها أن الأمر كان وما زال هو هو منذ البداية، هذه هي الفكرة العقلانية الوحيدة التي تملكتها حين تطلق ذراعا كبر عليها، تجهل نفسها. تصبح امرأة أخرى، غريبة حتى عن نفسها. تولد مكانها امرأة طويلة مثلها، ذات وجه بيضاوي جميل، وشعر كثيف طويل، بني اللون قاتماً.. لكن هذه المرأة تتصرف بطريقة لم يسبق لسيانا أن تصرفت مثلها.

وها هي اليوم تقدم على مواقف وأوضاع، كانت منذ أشهر قليلة تهرب منها مذعورة.. فهذا الزواج المضحك مثلاً ليس إلا مسرحية هزلية، لا أسس لها ولا قواعد.

مرت عدة ثوان محرقة قبل أن تدرك أن ما ظنته خفقان قلبها الجنون ليس

www.rewity.com

في الحقيقة إلا جولة أخرى من تصفيق المشاهدين واستحسانهم. إلا أنهم كانوا أكثر صخباً هذه المرة لا سيما أن اثنين من الشبان لم يتوقفا عن الصياح كلاهما مسعورين.

وفجأة، أوقف كبر عناقه مكرهاً وأطلق ابتسامة فيها شيء من العتاب إلى وجهها المتورد... ولا بد أن هذه الابتسامة بدت للناظرين صادقة كل الصدق لكن سيانا أحست أنه ما زال يتحكم بنفسه تماماً. فقد عرف متى ينهي العناق، وكيف يطلق خفقان قلبها قبل أن يرفع رأسه عنها. كما رأت تلك النظرة المحسوبة التي وجهها إلى عينيها اللامعتين، وانتبهت إلى فمه العريض يلتوي بانتصار وهو يبتعد عنها.

وبعد هنيهة، استقام كبر، ثم طوق خصرها بذراعه، واستدار ليواجه جمع الأصدقاء والأقارب.

- أخشى أن تكون لزوجتي..

وتصاعدت الهتافات حين استخدم كلمة زوجتي للمرة الأولى منذ إتمام مراسم الزواج.

- ... لزوجتي وجهات نظر تدعم التيار المطالب بحقوق المرأة. فهي تصر على استخدام اسمها، بدلاً من تبني اسمي. قد يجد بعضكم هذا التصرف خالياً من الرومانسية، لكنني شخصياً، لا أعتبره مشكلة... فما دامت زوجتي لا تتساهل مع كل رغباتي، فلن أنكر عليها هذه الرغبة في الاستقلال، لا سيما إن كانت تعني لها الكثير!

لاحظ الجميع أن كبر ركز على كلمتي «كل رغباتي» بشدة مما لم يترك مجالاً للشك عما يكمن وراء السطور. باختصار، لقد قام باستغلال الموقف إلى أقصى حد ثم ابتسم في وجه سيانا المتورد ابتسامة الزوج المخلص الوفي. لكنه ما لبث أن داعبها بنعومة.

- لا تشعري بالحرج يا حبيبتي.. أنت بين أصدقائنا هنا، والجميع يعرف الحب الذي أكنه لك.

كم تمنت في هذه اللحظة أن ترفس ساقه بقوة، كي يعرف رأيها بهذه

المهزلة التي يمثلها. لكنها سرعان ما أجبرت نفسها على ابتلاع غضبها. فرانسيس ناش يقف على بعد أقدام منها، وهو يراقب تصرفات كبر بدقة وتأمل.. لذا لم يكن هناك بدٌ من اصطناع ابتسامة ضعيفة.

لكن الفراج شفتيها لم يعكس تلك النظرة في عينيها. كانت حدقتاها تقدحان شرراً وتتقدان بعقاب أحمر عاصف. كيف يسخر منها على هذا النحو البالغ فيه؟ فهما لم يتفقا على هذا قط.

لكن كبر بدا غير متأثر أبداً بالغضب الصامت في عينيها. وحين أقبل الساقي حاملاً أكواب الشراب، تناول واحداً من الكؤوس الكريستالية ورفعه عالياً ثم راحت عيناه تبتسمان بحذق.

- لو سمحتم لي.. أود لو أقترح نخباً.. نخب سيانا.. عروسي الجميلة.. والمرأة التي جعلتني أسعد رجل في العالم حين أصبحت زوجتي اليوم.

لا يمكن تشجيع هذا الرجل حقاً! وهنا أطلقت احتجاج مضطرب من سيانا إزاء كذبته الجريئة. فإن لم يتوقف حالاً فسيلمس أحدهم الحقيقة ويتساءل عن سر مقالاته الواضحة.

احتجت بصوت ناعم: «كبر! أنت تحرجني».

سرعان ما ظهر الندم على وجهه:

- أنا آسف حبيبتي.. أنت على حق.. لهذا الكلام وقت غير ومكان معين.. ليس هنا، ولا الآن، لكن اطمئني ستنتهي فيما بعد...

ثم أخفض صوته قليلاً، حتى أصبح هديراً أجشّ، غنياً بالوعد المثير:

- ... حين نصبح وحدنا.

أنساها هذا موجة استحسان أخرى من الناظرين.. ولكم أساء الجميع فهم السبب وراء اللون الحارق الذي طفح به فجأة وجه العروس.

- سأنتظر هذا بفارغ الصبر.. لكن، علينا الآن أن نهتم بضيوفنا. أرجوكم.. جميعاً، تناولوا الشراب، وتصرفوا على راحتكم. أنا واثقة أنكم مستعدون لهذا.. سيتقدم الغداء بعد نصف ساعة.. في هذا الوقت...

www.rewity.com

وهنا حولت اهتمامها إلى كير وظهرت القسوة على تعابير وجهها وفي نبرة صوتها.

- من الأفضل لنا أن نرحب بالمدعوين. ساهتم أنا بهذا النصف من الغرفة...

تصورت أنه سيرفض طلبها رفضاً قاطعاً، لكنه لم يفعل. بل رفع كأسه بصمت، في تحية ساخرة، قبل أن يستدير ليبتعد في الاتجاه المعاكس.

راقبته سيانا يبتعد في صمت، وأطبقت أسنانها البيضاء الصغيرة تعض على شفتها الكنتزة. لو أنها تحب كير، ولو قليلاً.. على أية حال، لن يكون هذا صعباً.. إنه من النوع الذي تذوب في هواه أية امرأة تملك حساً مرهفاً ومشاعر رقيقة.. فهو طويل، قوي، بعي الطلعة، ذو ملامح جذابة قاسية تقلب النساء رأساً على عقب وتترکهن عاجزات عن التفكير.

كما أنه ناجح أيضاً.. فهو رجل صنع نفسه بنفسه. رجل يمكن أن تدعوه زوجها بكل فخر، حتى ولو لوقت محدود. لكنه بالتأكيد لم يحصل على قلبها.. فقلبها ليس معها لتعطيه إياه. لقد أضاعته لتوها حين منحته لإنسان أثبت تماماً أنه لا يستحق حبها، إنسان أشبه بوالدها يوم هجر أمها مدى الحياة.

لا.. عليها ألاّ تفكر بدين وصرت أسنانها بقسوة أكثر وهي تقاوم الدموع التي حرقت عينيها.. لقد اوتمت بكل ثقلها على كير، وهي واثقة أنه طريق ستقيلها.. لسنة واحدة على الأقل. إنها مقتنعة تماماً بأنه اتفاق سيدرّ على كليهما بالربح الوفير.. لكنها ترى كير اليوم، بطريقة لم تره مثلها من قبل.

اتجهت سيانا بعينيها الزرقاوين إلى حيث يقف كير، بدا عالي الرأس، شعره الأسود مسرّح إلى الوراء.. كان وجهه طافحاً بالسعادة والإشراق وهو يضحك لخبر رواه رفيقه.. فجأة صعقتها الحقيقة بقسوة، وأدركت أنها تعرف القليلَ القليل عن هذا الرجل الذي أصبح يدعى زوجها.

لو كتب للنظرات أن تقتل، لوقع كير صريعاً للتو، أو لتحول إلى رماد

بقوة غضب سيانا وحرارته.. هذا ما فكر فيه كير بقلق وهو يلتقط تلك النظرة الفيروزية اللون من أقصى الغرفة.. الواضح أنها لم تعجب بعبثه وغزله، وواضح أن مجرد التفكير فيه يشعل فيها الغضب.. مع ذلك لم يدرك كير أن زوجته الجديدة تحترق من الداخل.

زوجته.. تذوق طعم الكلمة بحذر وأخذ يقلبها في عقله، وهو غير واثق بعد من حقيقة شعوره.

ثم انقطع حبل أفكاره حين أقبل إليه رجل طويل، كثيف اللحية، فصافحه بمصافحة قوية، أتبعها بتربيتة قلبية على الظهر، ثم هتف ضاحكاً:

- كير! أهنئك يا صاحبي! لم أفكر أنني سأراك يوماً تنضم إلى زمرة الرجال المتزوجين.. لا بد أن تكون سيانا امرأة عظيمة!

- صدقني، إنها كذلك.

كان ريتشارد باري صديقه منذ أكثر من عشرين سنة، أي منذ كانا في المدرسة الثانوية. وإن لم يكن لأحدهم أن يشم رائحة الخداع فهو ريتشارد.

- لا بد أنها كذلك.. لقد بدأت أتساءل إن قررت أن تتزوج عميلك.. إذ كنت تمضي كل ساعة من ساعات يقظتك في المكتب.

اشتدت عضلات كير:

- عانيت من بعض المشاكل.. كان موت والدي مفاجئاً، لا سيما أنه ترك كثيراً من المسائل دون حل.

- لكن كم مضى على هذا.. كم؟ ثمانية عشر شهراً؟ لا شك أنك أصلحت الأمور الآن؟

هز رأسه ببطء: «تقريباً.. لكن بقيت مشكلة أخيرة عليّ أن أعالجها.. بعد ذلك سيصبح الوضع على ما أريده أنا».

هذا في عالم عمله على الأقل.. أما شؤونه الشخصية فأمر آخر.. لكنه الآن، لا يستطيع إلا أن يرتاح لأن تلك «المشكلة الأخيرة» قد أزيحت عن كاهله.. فاللعنة التي أصابت حياته طيلة السنوات العشرة الماضية.. ستنقشع عما قريب. وحينها فقط سيشعر بالحرية فيعب اهتمامه الكامل على

www.rewity.com

مسألة زواجه المشهور.

سألته زوجة ريتشارد:

- ومتى نسمع عن جيل جديد من آل ألبكسندر؟

- أعطي المسكين فرصة فهو لم يكد يدس الخاتم في إصبعها دعيه على الأقل يتمتع بشهر عسل قبل أن تتمنى له أن ينعم بهجعة الأبوة... على أية حال لا يتحمل الجميع كثرة نسلنا.

قال ريتشارد ذلك، فيما عيناه تطيلان النظر إلى انتفاخ بطن زوجته، في إشارة واضحة إلى أنه سيكون أباً للمرة الرابعة.

- لكنك لطالما رغبت في الأولاد.. أليس كذلك يا كير؟ وأظنك ستكون أباً رائعاً. تأمل فقط كيف تتفق مع سام، ووليام وحثه لتتأكد من ذلك.

ابتسم كير: «أولادك يشبهون أمهم.. وهم يتفقون مع الجميع، دون أية مشكلة.. لكن من الأفضل ألا تترقبي وفاق لعب لعصابتك، في المستقبل القريب.. فأنا وسيانا لم نتطرق بعد إلى مسألة الإنجاب..».

وما الفائدة إذا كانت هذه المسرحية لن تدوم لأكثر من سنة؟ لكنه لن يعترف بهذا طبعاً لصديقه وزوجته..

- أما الآن.. هلاّ عذرتماني.. سأنضم إلى زوجتي.

عنّف كير نفسه على أفكاره، ثم استدار ليشق طريقه عبر الحشد إلى حيث تقف سيانا في الجانب المقابل من الغرفة. لكنه توقف تارة ليصافح يداً، أو ليتقبل تهنئة، وتمنيات طيبة.

المشكلة أن ريك وزوجته يعرفانه منذ مدة طويلة. وافتقاء طوال تلك السنين، وكانا معه حين أعلن بتضاد صبر أنه لن يتزوج إلا إذا اقتنع أن العلاقة ستدوم العمر كله. ولن يجره إلى مذبح الكنيسة، أي حلّ أقل من هذا.

إذن، كيف انتهى بالأمر إلى هذا.. إنه يعرف بكل تأكيد أن زواجه ليس إلا عقد مؤقت! تسمّر كير في مكانه على الفور. ونظر إلى الخاتم الذهبي السميك الذي يلتف حول أصبعه.. ثم أداره وأداره بحركة متوترة.. كيف يتنازل عن كل مثالياته ويطيح بها بمثل هذه السهولة؟

لعل السبب يعود إلى كونه الآن أكبر سناً.. ويمكنه القول: أكثر حكمة.. لقد عرف أن مثل هذه المثاليات ليست سوى خيال، وأن من المستحيل تحقيقها. لقد صفعه الواقع على وجهه صفعة قوية، دفعت بكل الأحلام إلى خارج رأسه. وبات اليوم يدرك أن المنازلات الدنيوية تكون أحياناً أفضل الحلول.

- كير.. حبيبي.. كم أنا مسرورة لرؤيتك..

هذه المرة كانت اليد على ذراعه أصغر بكثير، وأدق من العادة، وأنثوية تماماً. تزينها حليّ من الذهب والإلماس والأصابع النحيلة تنتهي بأطراف مدببة مطلية بلون أحمر لبلكي.. تصلب كير في مكانه على الفور ثم هاجمته رائحة ثقيلة من المسك، قلبت معدته.

بإمكانه أن يتعرف إلى هذا العطر القوي في أي مكان، كما يمكنه أن يعرف نبرة صوتها وتلك «الحبيبي» المزيفة التي يعرف كلاهما أنها لا تعنيها أبداً، بل هي لا تستخدمها إلا ليسمعها من حولها، كي تحافظ على الوهم فقط.. وفي الحقيقة، لا يجمعهما أي شيء أكثر من الكراهية التامة.

- لوسيل.

تفوه بالكلمة وكأنه يعض عليها، وكأن اسمها قد ترك في فمه طعماً كريهاً مرّاً.

لوسيل ألبكسندر.. زوجة الأب القادمة من الجحيم.. وإبليسه الخاص. المرأة التي يصفها عن سابق تصور وتصميم، بالمشكلة الأخيرة، فما إن يعالجها حتى يتحرر من كل المشاكل التي كانت تثقل كاهله في السنوات العشر الماضية. المرأة التي جرّه طمعها الجشع إلى هذا الزواج، الذي لم يكن زواجاً بل عملاً تجارياً صرفاً.

ارتدّ ببطء ليواجهها، بوجه ملؤه الإشمئزاز. وعرف عندها، من دون أدنى شك، أن مجرد أمل إخراجها من حياته إلى الأبد، يجعل من الادعاء والتحايل أمراً يستحق العناء تماماً.

* * *

www.rewity.com

٣ ـ لخسرين اللعبة!

ـ هل أنت على ما يرام؟

ـ ما يرام؟

جاء صوت كير مضطرباً، وكأن اهتمامه منصبٌ في مكان بعيد... كانت النظرة التي ألقاها باتجاه زوجته مركزة ومحافلة بأفكار خفية لم تستطع أن تفهمها.

ـ ولماذا لا أكون على ما يرام؟ على أي حال، كلانا سينال الآن ما يريد.

لماذا هذه الرقة الساخرة في صوته؟ لماذا هذه الفظاظة التي تلعب بأعصابها لعباً؟ لكن الحقيقة أن مزاجه تغير جذرياً منذ عاد إلى جانبها في بداية غداء العرس، فمنذ تلك اللحظة اختفت المداعبة المرحة التي أزعجتها، وحلّ محلها كآبة قاتمة.

همست سيانا بصوت أجش: «حسن جداً.. بإمكانك على الأقل أن تتصرف وكأنك سعيد بزواجك بي. أما إذا استمريت بالتحديق إلى طبقك وكأنه مسموم، أو بدفع الطعام منه من دون أن تتذوقه، فسيبدأ الناس بالتساؤل عما أصابك! ولا تنسَ أنهم شهدوا لتوهم تمثيلية تستحق عليها جائزة أوسكار... فقد ظهرت وكأنك الزوج المحب المخلص للقرن العشرين!».

وتابعت: «أما الآن فتبدو كالمحكوم عليه بالإعدام، لا يستطيع أن يجبر نفسه على تناول آخر وجبة له..».

ولكن لا.. ليس الغضب بالطريقة السليمة للتقرب منه.. فهي لم تحصل إلا على رد مثير للاضطراب.. وبقبضة داقة ثابتة أطبق بأصابعه القوية على يدها. كانت حركة بطيئة متعمدة أطلقت أحاسيسها وجفلت ريقها.

من دون كلام، أخبرها بنظرة ماكرة، أنه يعرف بالضبط ماذا يفعل.. وإنه أدار عليها سلاح التأثير الفعّال محققاً فيها إصابات مدمرة.

قال وكأنه يعترف، بخشونة:

ـ أخشى أن العمل يشغلني منذ ليلة أمس.. ببساطة، هي صفقة كان علي أن أنهيها.

وهنا هتف جايمس، شاهده، بعدم تصديق:

ـ في الليلة التي سبقت زواجك.. يا رجل، ألم يكن بإمكانك أن تنتظر؟

ـ ما من طريقة

هزّ رأسه بطريقة تؤكد كلماته بثبات.. ثم أردف:

ـ أوديت أن أضع هذه المسألة باللذات، وراتي وإلى الأبد. لأكون حراً أولاً، ولأركز انتباهي على عروسي ثانياً. لكن المفاوضات استمرت لوقت أطول مما توقعت...

كانت لوسيل صعبة المراس لأقصى درجة. فقد انتزعت منه، هي وعائلتها كل فلس أمكن أن تربحه. ومرت أوقات كثيرة فكر فيها أن يتخلى عن الأمر كله، أن يفر بعيداً. وعندما أوشك أخيراً أن يعلن سأمه من التأجيل، ومن الصفقة برمتها، استسلمت ووقعت الاتفاق مجذداً.

ـ لم أستلق على السرير قبل منتصف الليل.. كما أنني لم أنم جيداً.

سألت سيانا: «وما كانت المشكلة؟»

لاحظت أن مزاجه تغير ما إن تحدث عن اهتمامه بعروسه.. لكنها وعت أنه ما دسّ هذه الكلمات في حديثه إلا ليسمعها الجمهور.. لأنها خالية من أي أساس واقعي. والحقيقة أنها لا تملك أدنى فكرة، عما سيفعلان ما إن تنتهي حفلة الزفاف...

همست في أذنه: «أمتوتر من العرس؟»

www.rewity.com

- شيء من هذا القبيل.

- أوه، دعك من هذا.. إنه شعور على العروس أن تشعر به وليس على العريس!

لم تستطع أن تصدق أن كير، القوي، المستقل، المصمم، البارد الدم، الحر القلب، كير أليكساندر، يستلقي مستيقظاً قلقاً يفكر في أحداث اليوم التالي. ورفضت مجرد التفكير أنه أحس بالارتياك كما أحست هي بشأن مراسم الزواج، وورطتيهما معاً.

ليس كير.. لأنه حافظ على برودته طوال الوقت.. فما إن اقتنع أن هذا هو الحل لمشاكلهما معاً، حتى تولى زمام الأمور، وتعامل مع كل التفاصيل، وأزاح العراقيل بثقة باردة كأنها جزء من طبيعته.

سألها: أتقولين إنه لا يمكن للرجل أن يحس بالتردد والارتياك في الليلة التي تسبق زواجه.. ألا يعقل أن يتوتر إزاء ما يترقبه.. وإزاء المسؤولية التي هو على وشك أن يتحملها؟

- لا..

واشتعلت نظرة في عينيه بعثت فيها الاضطراب، وازدادت متلئماه سواداً.. يظللهما سؤال لم تفهمه. وحين نظرت إليه عن كثب، استطاعت أن تلمح هالات القلق تحتهما.. وأبصرت علامات لم تلحظها من قبل.. خطوط خفيفة زادته عمقاً وتوتراً.

ثم استأنف حديثه:

- أم أنك تدعين أنني لو اتصلت بك، حين فارقني النوم، لوجدتك صاحية كذلك.. تشاركيني أحاسيسي وأرقي؟

- حسن جداً.. لا.. لم أكن..

الحقيقة أنها أمضت بالإرهاق وهي تركض هنا وهناك طيلة خمسة أسابيع خلت، لدرجة أنها نامت ما إن لامس رأسها الوسادة. وحين داهمها القلق في اللحظة الأخيرة، تذكرت أن مشاكلها ستنتهي غداً.

- وأنا لم أعتقد هذا بدوري.

فجأة، عادت الفكرة التي خطرت ببالها منذ قليل، لتندفع إلى الأمام بقوة جديدة مقلقة.

لم يكن كير برغب في هذا الزواج لحين اقترحته عليه في البداية رفض الفكرة على الفور.. لكن ما إن وضع شروطه، وطالب بزواج لائق وكامل بكل معنى الكلمة حتى اقتنع، ووافق على اقتراحها.

- سيانا!

بدا القلق واضحاً في نبرة صوته وهو يلفظ اسمها. كان الشاهد الأول يستعد لإلقاء كلمته. لذا حاولت سيانا بطريقة أو بأخرى أن تسيطر على نفسها، فأدعت الإصغاء، وأدارت رأسها إلى جايمس، تركز عينيها على وجهه.. ومع أن ضحكات الحاضرين سيقتها بأشواط إلا أنها تمكنت من الانتظام لتكاته.

لكن الحقيقة أنها لم تسمع سوى نتف من الخطبة الجريئة، ولم يسجل عقلها إلا القليل القليل في أعماقها، كانت معدتها تتلوى ككتلة من نار.. كما أصابها الخوف، حتى شعرت بالغثيان.

ماذا فعلت؟ لقد طلبت من هذا الرجل أن يتزوجها.. أن يعيش معها، أن يشاركها منزلها، حياتها، وفراشها.. خلال السنة القادمة على الأقل، سيضطران إلى إظهار حبهما العميق للناس. وسيعرفان بين الجميع بالزوجين!

ما تصورته بسيطاً جداً منذ بضعة أيام.. يبدو لها الآن مستحيلاً. لا يحتمل، بل غارقاً بالمشاكل والأفخاخ.. والاثنا عشر شهراً ظنتها مدة قصيرة من الزمن. وبدت الآن ممتدة دونما نهاية.. ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً.. كيف ستعيش خلالها؟ ليس لديها أدنى فكرة! واشتعل الخوف في رأسها، حتى وصل إلى صدغيها.. أرادت أن تدفع كرسيها إلى الوراء، وأن تهرب من الغرفة.. لكنها قاومت فهي التي اختارت هذا الطريق، وهي التي تعلم تماماً أن لا بديل آخر أمامها.. بزواجها من كير، سترث مال أبيها، وترث معه الأمان والراحة والطمأنينة.. أما من دونه.. فستعود إلى وحدتها ويأسها، فأمها تعتمد عليها كل الاعتماد.

www.rewity.com

انتهت الخطابات، ورفعت الأنخاب وتحررت أخيراً من الواجبات التي أجبرها على ملازمة مقعدها. تملكها هذا الإحساس من رأسها إلى أخمص قدميها، فأصبحت عاجزة عن البقاء دون حراك أكثر من هذا. لم يكن لديها فكرة أين ستذهب. راحت تفكر بفراغ. ستذهب حتى الأبواب الزجاجية الكبيرة، وتفتحها، لتنعم بالهواء النقي الذي تحتاج إليه. لكن...

قال كير فجأة، وهو يلمسها: «سيانا...؟»

ارتسم الرعب على وجهها، فأجفلت، وقررت أن تبتعد عنه ولو على حساب نظرة ساخطة سوداء.

ـ مالك..؟ سيانا، ما الذي دهاك؟ الناس ينظرون إلينا!

لو أنه رفع صوته ليمنح فيها هذه اللهجة المتوحشة الاضطراب. لكن التوهج في عينيه، أرعبها.. وفجأة أخذت الأرض ترتج من تحتها فيما السجادة الحمراء السميكة، تتحرك تحت حذائها الساتاني الأبيض.

وكانت همسة يائسة: «لا أستطيع الذهاب معك! لا أستطيع!»

ـ سيانا هل فقدت رشدك؟.. أتذكرك أن هذا يوم عرسنا؟

يذكرها! أو يمكن أن تنسى!

ـ لدينا ضيوف.. علينا أن نتكلم معهم.

فتكلم! أحست سيانا وكأن لسانها قد انعقد في حلقها.. وكأنها عاجزة عن صياغة الكلمات. ولحسن الحظ كان كير لا يزال يقبض على معصمها، ويطوق خصرها بذراعه الأخرى، وإزاء ذلك لم يعد لديها خيار سوى أن تلحق به إلى الغرفة. فتمكنت بطريقة ما أن ترد على التحيات هنا وهناك.

كان وجهها جامداً لذا أدهشها كثرة الابتسامات الزائفة. كل ما أرادته هو أن تبتعد من هنا، وأن تكون لوحدها، أن تجد مكاناً تحس فيه بالأمان والهدوء، حتى تتقبل الأمر بروية. لكن كير بدا مصمماً على لحبة الجميع، متجاهلاً احتجاجاتها ومعارضتها الظاهرة. فأخذ يقودها من مجموعة إلى أخرى، وهو يخفي ارتباكها بسلاسة مرتبة.

همس في أذنها: «حباً لله! أنت من تتصرفين كمحكوم عليه بالإعدام،

ابتسمي.. اللعنة عليك! لن يصدق أحد أنك عجوزة بحتي، إذا تابعت النظر إلي، وكأنني أنمي سامة على وشك أن تلدغك».

ردت سيانا عبر أسنان مشدودة:

ـ أنا أبتسم.. أما بالنسبة للوقوع في حبك.. فلسوف أؤدي هذا بشكل أفضل لو أنك لا تجرني في الغرفة كالبلهاء.. أنا قادرة على الوقوف لوحدي ونعرف هذا تماماً. ليتك تتركني فقط..

ـ تفضلي!

تركها فجأة، فتهاوت بارتباك، وخشيت أن تقع فعلاً.. فسارعت يدها تبحث عن التوازن، ولدهشتها الكاملة تلقفتها أصابع جديدة، ناعمة، ثم سمعت صوتاً نسائياً يقول محذراً:

ـ احذري.. كدت تقعين.

حين استعادت توازنها، التفتت سيانا إلى منقذها بابتسامة حقيقية، هي أصدق ابتسامة رسمتها على وجهها حتى الآن.

ـ لا تقلقي، إذ يصعب السير بهذه الأثواب الطويلة حين لا تكونين معتادة عليها.

ـ هذا صحيح!

كان عطر المرأة قوياً طاغياً، لكن سيانا نجحت في إخفاء ردة فعلها.. أخيراً، أحست بذعرها يخفت ثم يتبخر إزاء دفء ابتسامة المرأة.

ـ أنا آسفة.. لا أعتقد أنني...

لم تتعرف إلى هذا الوجه.. لا بد أن المرأة من مدعوي كير.. شخص لم تلتق به بعد.

أضافت: «كير.. ألن تعرفني...؟»

لكن كير ظل واقفاً إلى جانبها متصلباً بعيداً، ووجهه أشبه بالرخام البارد الذي لا يتحرك، فيما عيناه جامدتان لا تكشفان عن أية مشاعر.

لماذا يحدث هذا الآن؟

لو حاول كير التفكير بأسوأ لحظة تلتقي فيها لوسيل بزوجته، لما عثر على

www.rewity.com

أسوأ من هذه . . كانت سيانا تتصرف كجواد أصيل يتعامل معه الإنسان للمرة الأولى، فتكهن كير كيف ستتعامل مع هذا الوضع الفجائي.

المشكلة أن زوجته الجديدة، لا تستطيع أن تكذب ولو لإنقاذ حياتها. وهي لم تبتدع هذا المشروع السخيف إلا لأنه الحل الوحيد لمشاكلهما معاً. . لكنها لا تدرك نصف الحقيقة . . ولا تعرف بشاعة تصرفات لوسيل، ولا الضرر الذي يمكن أن تلحقه به . . وإن اكتشفت زوجة أبيه السبب الحقيقي من وراء زواجه المدبّر، لتحولت إلى وحش مفترس . . ولاستخدمت بكل وقاحة هذه المعلومات لمصلحتها ثم لعملت دون شك على تدميره.

ـ كير . . .

هي مجرد كلمة أخرى انطلقت من شفتي المرأة، لكن تأثيرها فيه كان عظيماً، فقد أدار رأسه بحدة وسرعة، وضاقت عيناه فجأة فوق خديه المرتفعين التويين.

ـ تريدين أن أعرفكما؟ حسن جداً . رائع . . على هذا أن يحدث في وقت ما. لذا أعتقد أنها مناسبة جيدة للتعارف . . سيانا حبيبتي . . هذه لوسيل . . زوجة أبي . . لوسيل لعله اتضح لك أن هذه سيانا . . زوجتي.

لوسيل . . لم تستطع سيانا أن تصدق ما سمعت . إذاً هذه هي لوسيل، زوجة الأب التي يكرهها كير، والتي ما وافق على زواجهما إلا ليتخلص منها، وليطردها نهائياً من حياته؟ إذاً هذه هي الوحش، هذه هي «ميدوسا» التي تكسو الأفاعي رأسها في الأساطير الأغريقية . . هي التي حولت قلبه إلى حجر منذ أول لحظة وقع نظره عليها، ولم تترك للنور مجالاً ليلامسه منذ ذلك الوقت.

لكن هذه المرأة أتت على عكس ما تخيلت تماماً . . فبسبب تأثرها بمشاعر كير، تصورت أنها مخلوقة طفيلية، شريرة، باردة الوجه والعينين، لا هذه المخلوقة الضاحكة العينين. كانت لوسيل البكستدر أصغر حجماً مما توقعت أصغر وأكثر جمالاً، ذات بشرة ناعمة، وعينين خضراوين، وشعر أحمر ذهبي . . لكن ما صعقها فعلاً، هو صغر سن زوجة أب كير . . فلقد توقعت

امرأة في أواخر الأربعينات أو بداية الخمسينات . . لكن لوسيل هذه لا تكبر كير بأكثر من خمس سنوات.

مدت لوسيل يدها:

ـ سيانا . . من الرائع أن ألتقيك أخيراً. بدأت التساؤل هل سأراك يوماً . . الآن بعدما رأيتك، أتفهم رغبة كير في إبقائك لنفسه.

تدخل كير بسخرية لاذعة:

ـ أشك أن تتفهمي أي شيء إطلاقاً . . لو حصلت على ما أريد، لما دعيتك أبداً إلى الزفاف. لكن سيانا أصرت على وجود كل عائلتي هنا، وبقدر ما أكره أن أعترف . . فأنت من العائلة، ولو عبر صلة الزواج . . .

قاطعت سيانا مؤنبة: «كير . . !».

لكنه تجاهلها وعاد اهتمامه على لوسيل:

ـ لكن، ربما من الأفضل أنك هنا . . فما زالت أمامي مسألة عمل صغيرة أود أن أخلص منها . . البعض لو سمحت.

مرة أخرى أمسك بذراع سيانا يجبرها على الذهاب معه، من دون أن يوقف ليرى إن كانت تتبعه حقاً أم لا . . ثم توقف أخيراً أمام الغرفة الصغيرة الخاصة التي وضعها الفندق تحت أمرة العروسين. لم تتأخر لوسيل لحظة في الدخول . . وما إن تقدمت إلى الداخل حتى رفس كير الباب خلفها، فتلاشت ضجة حفل الاستقبال.

ـ والآن . . .

ترك سيانا فجأة، ثم مد يده إلى جيب سترته الداخلية، وأخرج مغلفاً طويلاً أبيض وماء على الطاولة القريبة.

ـ هاك ما أنت مهتمة به فعلاً يا زوجة أبي العزيزة.

حين رأى لوسيل تنظر بارتياك نحو سيانا، أضاف:

ـ أوه . . لا بأس . . أنا لا أخفي أسراراً عن زوجتي. بل على العكس، الواقع أن سيانا هي التي تشتريك، وبالسعر الذي اتفقنا عليه ليلة أمس. حبيبتي . . .

www.rewity.com

لزم سيّانا فترة غير قصيرة لتدرك أن كير يخاطبها . ومع ذلك ظلت تحدق بالقلم الفضي الذي كان يمسك به، وفي هذا الوقت كانت عاجزة عن فهم ما يدور في خلده.

كلمها كير بنعومة: «سيّانا.. أحتاج إلى توقيعك.. الوثيقة جاهزة. وكل ما عليك هو أن توقعي».

وهنا، استوعبت أخيراً ما يعنيه.. بالطبع.. هذا وعدها مقابل موافقتها على الزواج: توقيعها على الوثيقة مقابل توقيعه على عقد الزواج.

لكنها لم تتوقع منه أن يلزمها بوعدها بمثل هذه السرعة.. فالخاتم لم يكد يستقر في إصبعها، والخبر على وثيقة الزواج لم يجف.. وها هو يدفعها لتأكيد وعدها بسرعة كبيرة.. ولكن ما صدمها هو هذا الشعور بالألم في أعماقها.

حثها مجدداً: «سيّانا.. وقعي.. أرجوك».

للحظة أو اثنتين، أرادت سيّانا أن تتمرد.. فلينتظر ماله! إنه لم يستحقه بعد!

لكن ما إن تكلمت لوسيل حتى تغيرت سيّانا بشكل جذري.

- إذن، ستدعمك العروس الصغيرة، أليس كذلك؟ كير.. حبيبي.. يا لها من هدية عرس سخية.. كل ما أمله هو أن تستحقها.. لكني واثقة من ذلك، في جانب هام من هذا الزواج على الأقل.

لهجتها الساخرة، لمعان عينيها، لسانها الوردي الذي يلعق شفتيها، كل ذلك أوضح جداً أي جانب تقصد. ولم تستطع سيّانا سوى أن تنظر مسحورة، غير قادرة على أن تصدق عينيها. وبدا لها أن لوسيل التي قابلتها للتو قد اختفت لتفسح المكان لامرأة أخرى مختلفة تماماً.. إذن، هذه هي زوجة أبيه الحقيقية.. وبدأت تفهم لماذا يكرهها كير.

أكملت المرأة: «لطالما أعطيت هذا الجانب قيمة عالية.. أليس كذلك يا عزيزي؟ لكنني أتساءل كيف قبلت أن تتخلى عن حريتك.. هكذا..».

- أنا لا أتخلى عن شيء.

فجأة، بدا أنه تذكر الدور الذي يلعبه، فانتقل إلى سيّانا ولف ذراعه

حول خصرها، ثم شبك يديه معاً تحت صدرها، حتى التصقا.

وأردف: «على العكس، لقد ربحت كل ما تمنيته يوماً.. زوجة جميلة، حياة جديدة إلى جانبها، وتوقعات مستقبل رائع..».

وانتعل سحر لمسته المثيرة مجدداً. وأحست سيّانا بجسمها يستجيب إلى دفئه وإلى قوة ذراعيه، وإلى رائحة عطره اللذيذ، لا سيّما إن قارنته مع عطر لوسيل القوي.

بشكل غريزي، أسندت رأسها إلى كتفه، وفي هذه اللحظة بالذات عرفت أنه يعني تماماً ما يقول.. فتخيلت أن زواجهما حقيقي، وليس مجرد صفقة عمل باردة الدم.

أدارت لوسيل نظرها إلى سيّانا ثم أضافت ساخرة:

- ومن الطبيعي أن يسليك عقلك كله.. حسناً أرجو أنك حصلت على صفقة جيدة على الأقل.. ولنأمل أنه يستحق ما تدفعينه له.

أحست سيّانا بجسم كير يقسو خلفها، لكن وجهه ظلّ خالياً من أي دليل.. فتدربت أن تقول بصوت يكاد يكون مقطوع الأنفاس:

- أنا لا أدفع له شيئاً.. ولست أدعمه كذلك.. كل ما فعلته هو تحويل شراكتنا إلى شراكة مالية إضافة إلى كونها شخصية.. استثمار للمستقبل.

لا بد أنها بدت أكثر إقناعاً مما تصورت. إذ أحست بصدر كير يتحرك وهو يطلق ضحكة انتصار صامتة.

وفاجأها إحساس جديد من نوعه فللأول مرة تحس أنهما معاً، متحدان ضد عدو مشترك.. ورغم هذا الإحساس من معنوياتها كثيراً. وبتهور، استدارت إليه ومنحته قبلة ناعمة.

- أعطني القلم حبيبي، ثم دلني أين أوقع. أريد أن أنتهي من هذا الجانب العملي لأركز على أمور أكثر شخصية.

وقعت اسمها على الورقة بمزيج من الخفة والابتهاج. ثم طوت الوثيقة ورمتها إلى لوسيل، وهي تشعر بالسعادة. أما المرأة الأخرى فأخذتها ودستها في حقيبة يدها ثم قالت:

www.pdfbooksfree.com

- حسن جداً.. أتمنى لكما كل السعادة معاً.. واضح أنكما مجنونان ببعضكما بعضاً..

لكن لهجتها أوحت العكس.

ما إن أقفلت الباب خلفها حتى تحرك كبير لحاة من مكانه.. ومن دون توقع وجدت سيانا نفسها بين ذراعيه في عناق عنيف كاد يخلف أنفاسها.

- مثيرة للإعجاب! كنت رائعة تماماً! كدت تقنعينني أنك مجنونة بحبي.

- فعلت هذا.. أليس كذلك؟

واعتراها حرارة استحسانه، التي ولدت فيها أشياء غريبة.. فهذا النور في عينيه، وتلك الابتسامة على فمه العريض زادا من ارتباكها وتوترها.. أحست وكأن شمس آب تلفح بشرتها وتزيدها توهجاً. كان إحساساً مدوّخاً مثيراً وتاقت للمزيد.

قال: «صدقيني حبيبتي.. بما أنك أقنعت زوجة أبي العزيزة، فبإمكانك إقناع أي كان.. يبدو أنه سيكتب لهذه اللعبة النجاح».

اللعبة.. مجرد كلمة واحدة، لكن كان لها تأثير الماء البارد على وجهها.. استفاقت على النور من أحلامها.. وأحست نفسها وكأنها تقع من السماء إلى الأرض، وكأنها تلقت ضربة مفاجئة موجعة.. لم يسعد بها شخصياً، بل فرح بالأداء الرائع الذي قدمته.

لعبة... للحظة سمحت لنفسها أن تصدق أن بينهما مشاعر أخرى.. ظنت أنهما اتحدا لسبب لا يتعلق بالخدعة ولا بالميراث.. ظنت أن السنة القادمة ستكون سهلة.. لكنها كانت تخدع نفسها.. من الواضح أن كبير لا يرغب في شيء كهذا.

ثم أضاف: «بما أننا أبعدنا هذه عن طريقنا يمكننا الانتقال إلى المرحلة التالية...».

تلعثمت سيانا:

- المرحلة التالية؟ أية مرحلة تالية؟

- حقاً سيانا.. أليس الأمر واضحاً؟

ورماها بنظرة حائرة ساخرة، فيها شحنة غريبة من عدم التصديق.

- نحن متزوجان حبيبتي. ولقد انتهى حفل الزفاف.. وحفل الاستقبال يقترب من النهاية.. فما هي الخطوة المنطقية التالية؟

هزت سيانا رأسها: «لا يمكن أن تعني...؟»

لا يمكن أن يعني ما تفكر فيه.

- سنفعل ما يفعله الجميع حبيبتي.. سنذهب في شهر عسل.

* * *

www.rewity.com

٤ ـ أنت لي!

شهر عسل.

قلبت سيّانا هذه الكلمة مرات ومرات وهي تشرب العصير على تراس الڤيلا، وتتمتع ببرودة بعد الظهر بعد دفء النهار.. فوق رأسها، كانت طيور السنونو تزين السماء فتخرق الصمت الموحش وهي ترفرف بأجنحتها بحثاً عن الطعام.

«تفعل ما يفعله الجميع يا حبيبتي.. تذهب في شهر عسل».

كلمات كير ما زالت تشغلها.. فهذا آخر ما تتوقعه منه.. لقد عقدا اتفاق عمل، لا عواطف فيه ولم تفكر يوماً أن تتخلله المتعة التقليدية التي تلي عادة مراسم الزواج.

لذا، ما إن علمت برحلة شهر العسل حتى حبست أنفاسها. وأحست بإثارة غريبة. وبطريقة ما شعرت أنها عروس فعلاً.

عروس حقيقية.. خاصة مع أفكارها أكثر وتذكرت أنها في الواقع عروس لكير. ولو انتصر الأمر على الادعاء.

صرخت وهي ترفع رأسها إلى كير:

ـ شهر عسل! لكن.. أين.. وماذا؟

أسكتها بأصبع قوي على شفتيها.. ثم أجابها ضاحكاً:

ـ هذا سري أنا.. ألا يفترض بالعريس أن ينظم كل الترتيبات، ويخفي المكان الذي سيقصده هو وعروسه حتى الدقيقة الأخيرة؟

لكن المفترض أن يختار العروسان مكان شهر العسل معاً.. تلاشى السرور الذي أحست به سيّانا، فالأمور لن تجري هكذا مع كير.

لكنها فضلت ألا تعلق. فقد يكون هذا باباً للدفء الجديد الذي تطور بينهما. قليل من دفء لطالما احتاجت إليه. مع ذلك فما زال الذعر يخيم على أفكارها.. يتعلق فيها وكأنه خيوط عنكبوت ملتصقة في زوايا دماغها. تحاول أن تتخلص منها، ولكن بلا جدوى.

ـ لم أعتقد أننا سنسافر في شهر عسل.. في الحقيقة، لم يخطر هذا ببالي قط.

ذكرها: «سبق أن قلت زواجاً ملائماً.. مع كل ما يلزم».

ـ أجل.. لكن هذا.. أعني.. أيمكن أن تتحمل نفقاته؟

وكانت غلطة كبيرة! بل غلطة شنيعة! فقد بدا واضحاً أن كلامها لم يعجبه.. إذ اختفت البسمة عن فمه فوراً.. وعكرت القسوة ملامحه. وانفجرت العينان البنيتان الثاقبتان بصفارة خطر. عرفت أنها تجاوزت خطاً غير مرئي، واخترقت الجدار الذي بناه حول شؤونه الخاصة.

تحرك مبتعداً عنها، ثم تقدم إلى النافذة ونظر إلى الحديقة الرائعة بالكتئاب.

ـ لعلي احتجت إلى مبلغ مالي مؤقت كي أفي بمتطلبات توسيل غير المعقولة، لكنني ما زلت بعيداً جداً عن الإفلاس.. نعم أنا زوج مؤقت، مؤجر لفترة العقد، لكنني ما زلت أعرف واجباتي..

ـ كير.. لا تقل هذا! لم أعن ما قلت!

ـ ولا؟ كلانا يعرف أنك ما كنت لتقترحين علي الزواج لولا يأسك.

ـ وما كنت لتقبل به لولا ملاءته مع خطط عملك!

ـ بالضبط.

ـ تصوّر الأمر وكأنه دين قذر.. ومتوحش!

بضحكة متوحشة مفاجئة، استدار كير ليواجهها.. كانت يداه مدسوستين في جيبي بنطلونه وحاجبه مرتفع بسخرية:

ـ هذه هي الصفقات التجارية يا حلوتي.. عقلانية، واقعية، باردة قذر

www.rewity.com

المستطاع.

لو أن هذا صحيح فعلاً.. لو أنه يستطيع أن يجعل هذا القرار بارداً غير عاطفي، وبتولاه كما يتولى كل مشكلة أخرى تواجهه في حياته العملية.

لكن يبدو أنه فقد اليوم زمام الأمور.. لسببين اثنين، كلاهما أنثوي.. فحين يتعلق الأمر بالتعامل مع لوسيل أو مع المرأة الواقفة أمامه الآن، المرأة التي سماها زوجته، يفقد منطقه، وعقله السليم، ويصبح مترددا على غير عادته.. لا يعرف أي طريق يسلك.

لهذا تصرف بتهور هو أبعد ما يكون عن شخصيته والوقت وحده سيحدد إن كان اتخذ أفضل قرار أو أسوأه على الإطلاق.

تابع: «لماذا تبدين مصعوقة هكذا؟ تعرفين أنها الحقيقة.. هذه هي الوقائع، فلماذا يثقل عليك أن تسمعيها في كلمات؟».

ـ أنا..

لم تستطع سوى أن هز رأسها وهي عاجزة عن الرد.

لم تستطع أن تنكر حقيقة ما قاله. لكنه تكلم بجرأة أزعجتها وبصوت صريح خال من العاطفة.

وما لبث أن سألها بصوت رقيق:

ـ أتعانين من مشاكل ضمير يا حبيبتي؟ هل يزعجك أن تكتشفي أنك متوحشة، باردة الدم وصلبة مثلي؟ اعلمي أنك عندما ترين شيئاً تريدينه حقاً، تسعين لامتلاكه بكل تصميم وقسوة. أم لعلك تضحين بكل شيء في سبيل تحقيق حلمك؟

ضربت كلماته الساخرة على الوتر الحساس فيها، وأطبقت على خناقها. ودت لو ترد له الصاع صاعين، لكن بلا جدوى.

ـ لو كان الأمر كما تقول، لما كنت هنا الآن. وصدقني.. لو قدر لي أن أحصل على ما أريد، لما كنت أنت الرجل الذي دست في إصبعه خاتم الزواج! ولو أردت تحقيق حلمي، لكنت تزوجت...

ـ أعرف.. دين الغالي.. الرجل الذي لن أستطيع أن أحل مكانه.

بدا الجو في الغرفة الصغيرة مشحوناً بكلام لم يقل. أما سيانا فأخذت ترتجف بالرغم من حرارة شمس آب التي كانت تتسلل عبر النوافذ. أحست وكأن كلمات الساخرة سيلاً ثلجياً صبّ بقسوة على بشرتها.

لكنها جاهدت كي ترفع رأسها إلى فوق، كان وجهها شاحباً وعيناها تلمعان بألم لم تنسه بعد.

ـ دع دين خارج الموضوع!

ـ لو استطعت لفعلت هذا.. لكن يبدو أنك مصممة على رميه في وجهي.. أعرف أنه الرجل الذي تحبينه فعلاً.. وأنك لو استطعت أن تتزوجيه لفعلت.. لكن دعيني أذكرك بحقيقة أخرى أيتها السيدة.. حقيقة لا تريدين مواجهتها إطلاقاً.

انخفض كير صوته حتى أصبح همساً خطيراً زاد من حدة لهجته.

ـ أنت لم تتزوجي دين.. بل تزوجتني أنا.. وكما أشرت لتوي، أنا الذي أضع خاتم الزواج في إصبعي، وليس حبيبك الغالي.. لا بد أنه الآن يلعن حظه السيء، لأنه لم يبقَ إلى جانبك لمدة أطول بقليل.

تساءلت سيانا بتجاهل: «حظه..؟ بقاءه..؟ أنا لا أفهم».

ـ أوه.. هيا يا حبيبتي.. أنت تفهمين جيداً. لو اكتشف دين أنك شابة ثرية، لأعاد النظر في قرار التخلي عنك، أليس كذلك؟

شكرت سيانا ربها لأنها لم تخبر أحداً عن خيانة دين، بل أبقت السر بعيداً عن العيون الفضولية لا سيما عيني كير.

ـ أتعتقد أنه كان سيتزوجني من أجل مالي؟ لن تكون يوماً أكثر خطأ من الآن.

ـ لكنني واثق تماماً أنه ما كان ليقوى على مقاومة ثروتك، أو على رفض فرصة مشاركتها معك.

ـ مثلك تماماً...

وكانت همسة خفية يائسة.. واعترف كير بقسوة:

ـ مثلي تماماً.. لكن تذكري شيئاً واحداً.. سيانا عزيزتي.. أنا هنا،

www.rewity.com

معك، أنا الرجل الذي أحببته فهرب في مكان لا يعرفه أحد، مع امرأة لا يعرف من هي سوى الله.. ولا تنسي أيضاً هو أنك أنت من طلبت مني الزواج. أنت عرضت علي فكرة.. علي أنا، لا على أحد غيري.. كلانا يعرف السبب.. أليس كذلك؟

كان من المستحيل على سيّانا أن تلتقي بنظرته الباردة وكأنها زجاج بركاني أسود. فخفضت طرفها إلى الأرض، لتركز على حذاء كير اللماع الأنيق. كان يقف بثبات فوق السجادة الحمراء الكثيفة، لكنها لم تستطع أن تحول دون وصول صوته القاسي، العدواني إلى أذنيها.

حين وجدها كير لا تنبس ببنت شفة رد على سؤاله بنفسه:

ـ بالطبع نعرف.. أنت أردت رجلاً يقوم بدور زوجك حتى يقنع عمك بأنك واقعة في الحب رأساً على عقب ومن ثم يدفع لك كل فلس من ميراثك. كنت محتاجة إلى من يؤمن لك هذا.. لكنك كنت محتاجة أكثر إلى من تتحملين وجوده في فراشك...

ـ لا...

كانت ردة فعلها غريزية. بدت ضعيفة وهي تحتج على الصورة التي رسمها بكلماته.

صحح لها كير بلطف: ابل.. أوه.. بل.. حبيبتي. قد يقدم العديد من الرجال على الزواج بك مقابل الثمن الذي عرضته.. لكنك طلبتني أنا.. ومن السهل جداً معرفة السبب!

مذهولة، جامدة، ساكنة، هكذا بقيت سيّانا حتى سمعته يقترب منها.. وخطا فوق السجاد السميك الناعم بصمت.. وفيما هي مسمرة مكانها أحست بيد تلامس ذقنها ويكف دافئة قاسية تجبرها على رفع رأسها. حين حاولت مقاومته شد على وجهها بقوة ليتغلب عليها بكل سهولة. لكن توهج عينيها أحرقه، وإذا بالرفض العنيد فيهما يتوزع على تقاسيم وجهها كلها.

ـ هذا ما تريدينه مني..

فاجأها رده.. كانت أشبه بنهر أطفأ نار الاحتجاج في صدرها. وتشكلت قبلة بمجرد ملامسة الشفتين لخدها، فتأوهت بغبية أمل غير إرادية.

ومع أنها لمسة تماثل الريش خفة إلا أنها كافية لإشعال مشاعرها الهاجعة.. وبقدر ما هي قبلته قصيرة بقدر ما هي فاتنة. من دون وعي أغمضت سيّانا عينيها، وتركت نفسها له.. أوادت عناقاً كاملاً... عناقاً يختصر الحرارة التي كانت تشتعل حولهما، يختصر الشمس التي تسبق العاصفة الرعدية الضعيفة.

بالقرب من أذنها، أحست بأنفاسه الدافئة، وسمعته يضحك بانتصار قبل أن يكافئها بعناق ترك أعمق أثر هذه المرة..

ـ هذا ما يجمع بيننا.. هذا ما لن يستطيع أي منا محاربته أو إنكاره.. هذا..

ـ كير!

انتزع منها الاحتجاج انتزاعاً، احتجاج تكون على لسانها قبل أن يتشكل في عقلها.

ـ ما الأمر يا حبيبتي؟ أخبريني بما تريدين.

بقيت عيناها مغمضتين.. لم تستطع أن تتهرب من دفئه.. من جسده، من صوت أنفاسه.. كان هذا أكثر مما تستطيع أن تتحمل.. فهذا العمى الذي فرضته على نفسها قوّى كل مشاعرها الأخرى.. لم تكن مرة أكثر إحساساً بدفئه وهو يميل إليها.

حثها مجدداً: «قولي لي!».

ـ كير!

ما لبثت أن فتحت عينيها مجدداً فإذا بنظرة سوداء تكسو وجهه.. فغرقت في عمق عينيه البنيتين بلون الشوكولا، وأسكتت صوت عقلها داخل رأسها، بعد أن كان يطلق الإنذارات الواحد تلو الآخر.

ـ عانقني... عانقني ثانية.

www.rewity.com

تمتم كير بصوت أجش: «رغباتك أوامر لي».

في لحظة، كانت ذراعان حديديتان، مشدودة إلى الجدار.

لو لم تكن يدا كير تشدانها بقوة إلى قلبها، لما استطاعت قدماها حملها.. ولأنها لم تستطع أن تدعم نفسها، تعلقت بالكتفين العريضين المستقيمين، في محاولة يائسة للحفاظ على نفسها.

ثم تنهدت، وهي تلتقط أنفاسها:

ـ أوه.. كير!

كان دمها ساخناً، وعزّها الشوق يخفق بجنون...

حين توقفت الغرفة أخيراً عن الدوران، أفاقت سيانا على الواقع عائدة من أعماق الأحاسيس التي وقعت فيها.. عرفت أنها موجوعة.. كما اعترفت لنفسها بغرقها. فمع هذا الرجل، تفقد كل سيطرة على تفكيرها.

لم تهتم بما قاله عن أسباب زواجها به.. فقط لأنها لم تعد تهتم.. ولأنه على أي حال، لم يبتعد كثيراً عن الحقيقة.. من اللحظة الأولى التي عانقها فيها كير ألبكساندر، أشعل فيها ناراً متأججة ما تزال تتوهج حتى الآن. وأصبحت تشبع بمجرد كلمة، أو لمسة وتغرق في بحر من الأحاسيس التي لا ترغب في الخروج منه أبداً.

تمتم كير: «آه! أيتها السيدة.. أنت تفقدينني صوابي.. تنسيني كل ما تعلمته عن اللباقة، والتصرف المهذب، وحين تكونين بين ذراعي، أشعر أنني بدائي كرجل الكهف».

كان عطر شعره يتغلغل في أنفاسها، فيما صوت تنفسه الأجش يطرق أذنيها، حتى نسيت تماماً من هي وفقدت إحساسها بالزمان والمكان.

ـ سيانا...

كان كير يدور، بحاجة إلى المزيد..

ـ سيانا.. أنت لي.. لي.. لا يمكن أن تكوني لرجل آخر، ولا أن تتزوجي رجلاً آخر..

كان كلاهما يتوق إلى الآخر لذا لم يسمعا وقع الأقدام، ولا سجّلا أن

الباب سوارب قليلاً حين اخترق صوت معروف، الضباب الحار الذي أحاطهما.

ـ ليس لدي فكرة أين هما؟ لكنني فتشت في كل مكان. لعلهما هنا.

ـ أمي!

صدمت سيانا. وفي اللحظة عينها ارتفع رأس كير، والتقت النظرات السوداء الواسعة بعينيها الزرقاوين.. ثم جمدا معاً في سكون تام.

ـ كارولين!

ابتعد كير عنها بشكل غريزي، وكأنها لدغته، ثم ارتفعت يداه تلقائياً لرتق ثيابه، لم تدرك سيانا إلا الآن أي ضرر أحدثته بمظهره الأنيق. شعره الداعم أصبح مشعثاً بجنون وربطة عنقه الأنيقة مفكوكة.

نور وخطاها حين فكرت بما فعلت. ماذا لو داهمتهما أمها؟ ماذا كانت تقول؟

لاحظ كير ردة فعلها:

ـ ما المشكلة يا حبيبتي؟ لماذا أنت محرجة؟

همست وبداها تتشابكان معاً:

ـ لا شك أنك تعرف لماذا؟ لو لم نسمع.. لو دخلت..

ـ لعرفت أنني أعانقك.. وماذا في الأمر؟

أدارت سيانا عينيها بيأس:

ـ تتعانق..! كير.. أقدمنا على أكثر من هذا..

ـ وهل هذه جريمة؟ حبيبتي.. نحن متزوجان! ومن المفترض أن نتعانق، أن نتبادل القبل.. وأكثر.. في الواقع، أنا واثق أن هذا ما تتوقعه أمك.. لهذا حرصت على تحذيرنا قبل أن تدخل، وإلا كيف تفسرين تأخرها في الممر؟ لا أظن أن من عادة كارولين أن تصطدم بكثير من الأشياء، حتى ولو أنها تتكيء على عصا.

بالطبع.. على سيانا أن تعترف أن أمها لم ترفع صوتها بهذا الشكل إلا عن عمد. لكنها ستكون هنا في أية لحظة.

www.rewity.com

سألت كير وهي تعي بالكيفية استعادة نجاة مظهرها الأنيق:

ـ هل أبدو على ما يرام؟

ـ ستبدين رائعة..

ألقى عليها نظرة مُعتمة بدءاً بعينيها البراقتين وخديها المتوهجين، وانتهاءً بفتحة الفستان الرفيعة، ولم ينسَ أن يلاحظ ارتفاع صدرها وهبوطه في دلالة واضحة على ارتباكها.

ـ تبدين رائعة.. كما تبدو العروس الجديدة تماماً.

وحين أطلقت سيانا تنهيدة ارتياح عميقة، أضاف بابتسامة خبيثة:

ـ تبدين كامرأة تلقت عناقاً وما زالت تتشوق إلى آخر.. امرأة تشعر بالمرارة والإحباط لأن أحدهم قاطعها عما كانت تفعله.

ـ أوه.. أيها..!

وأشاحت وجهها بغضب، تفتش عن مرآة حتى تحشن من هندامها، لكنها تأخرت قليلاً إذ ما لبثت أن سمعت ضحكة كير الخافتة يتبعها صوت أمها تناديها:

ـ سيانا حبيبتي! كير!

وانفتح الباب، ليكتشف عن كارولين.

ـ آه.. ها أنتما..! اعتقدت هذا. لقد أردنا خلوة صغيرة.. ومن يلومكما؟ لكن الضيوف يتململون قليلاً، ويتساءلون أين أنتما، أعتقد أن الوقت قد حان لتقطع قالب الحلوى.

ـ كنا سنأتي في الحال.

شكرت سيانا كير في سرها.. فقد وجدت نفسها عاجزة عن الكلام.. وما إن استدارت لتواجه أمها حتى تلاشت كل أفكارها، فخلف كارولين، وقف فرانسيس ناش الرجل الذي تكبدت من أجله كل هذا الاعناء.. تلقائياً التفتت عيناها إلى كير تبحثان عن المساعدة.

تقدم نحوها فوراً، وضمها بابتسامة كلها حب وإخلاص ثم طوّق خصرها بذراع حانية.

ـ كنا قادمين.. لا شك أنكما تظناننا نظين.. آسف لأننا تسللنا هكذا، لكني أردت أن أختلي بسيانا، لأسرّ لها بشيء.

ـ طبعاً! شهر العسل!

أجفل رد الأم سيانا. فانفكت عقدة لسانها، واستطاعت أخيراً أن تتكلم.

ـ كنت تعرفين؟

رد كير بلهجة لطيفة متساهلة:

ـ طبعاً كانت تعرف.. وإلا كيف ظننتي سأتدبر أمر حفائك، وجواز سفرك، لتغادر في نهاية حفلة الاستقبال؟

ثم رمى فرانسيس ناش بنظرة تآمرية ساخرة..

ـ لقد فاجأت عروسي برحلة لا تعرف عنها شيئاً.. حين أخبرتها، تأثرت وخجلت جداً.. وأرجو ألا تشعر أننا أهملناك.

رد فرانسيس ناش: أوه.. أبداً.. لقد كنت أتسلى.

الشكوك كلها تذوب عن وجهه إزاء دفء كلام كير المتعمد.. تابع:

ـ لكن علينا الآن يا حبيبي، أن نعود إلى الحفلة، فكما تقول أمك، لقد أهملنا الضيوف بما يكفي. أنت عاطفية ومتحمسة.. حقاً!

كيف يجرؤ على هذا الكلام؟

تجاهل كير غضبها الظاهر ثم أردف:

ـ لكن أولاً.. ستكون فكرة جيدة لو أصلحت من هندامك قليلاً.

انتزع من جيبه منديلاً ناصع البياض وأخذ يمرره بلطف حول زوايا فمها.. عندما رفعه كان ملطخاً باللون الزهري. أدركت سيانا فداحة الخطأ الذي أحدثه الغرام المشبوب.

كيف لا يحذرها كير من هذا؟ كادت تصب عليه جام غضبها.. وكم رغبت أن توجه ركلة سريعة إلى ساقه. لكنها اكتفت بأن رمقته بنظرة قاسية فيما هو يتفحص وجهها ثانية.

ـ هاك.. تبدين الآن بحالة ممتازة.

ثم انحنى ليقبلها بسرعة، وأكمل هامساً:

www.rabitty.com

- لا تنظري إلي هكذا حبيبتي . . وإلا أنسدت الاتطباع الذي قدمناه . العم فرانسيس مقتنع الآن كل الاقتناع أن بدي لا تستطيع أن تبتعد عنك .

همست سيانا من زاوية فمها :

- وحين أضع يدي في المرة القادمة عليك . . .

لكن غضبها أضحكه . ثم رد عليها بعد أن طبع قبلة سريعة على وجنتها :

- وعود . . وعود! لكنني أخشى أن عليك الانتظار حتى نصل إلى المكان الذي سنمضي فيه شهر عسلنا . . والآن . . لا تحرجيني أمام العائلة .

- أحرجك؟

هذه المرة رنسته حقاً ، لكنه كان يتوقع ردة فعلها فتحرك بسرعة ليتفادى ركلتها ، وفجأة فقدت توازنها ، فاضطرت إلى التمسك بذراعه لتدعم نفسها ، وهي تعرف جيداً أنه يتمتع بسخطها وقلقها .

إحراج! ليس في هذا الرجل ذرة واحدة يمكن أن تصاب بالإحراج . . اللعنة عليه! والأسوأ أن كير تعمد أن يرفع صوته في كلماته الأخيرة ، وكأنما يريد أن يسمع عمها وكارولين تعليقه الضاحك .

أخيراً صرت أسنانها ، وقالت :

- من الأفضل أن يعجبني المكان!

هتفت الأم بحماس :

- أوه . . ستحبينه! لقد فكر كير جيداً . . واختار المكان الممتاز .

ومنحت صهرها نظرة دافئة هدأت من روع سيانا ونفضت على غضبها . لكنها ظلت تشعر بالقلق وساورتها أفكار مضطربة .

حين باشرت بهذه الخطة ، لم تتوقع أن تكن له أمها هذا الحب الواضح وذلك الإحترام الكبير . . لكن هذا حصل ، ولا يمكنها فعل شيء . . إلا أن تتساءل حول ردة فعل والدتها بعد سنة ، حين تكتشف أن الطلاق واقع لا محالة .

التفت ذراع كير حول خصرها :

- هيا حبيبتي ، تعالي . . كلما عجلنا في قطع قالب الحلوى ، كلما تمكنا من الخروج من هنا في وقت أسرع . . قريباً جداً سنكون وحدنا على متن

الطائرة .

وحدنا . . تراجعت سيانا في مقعدها تستنشق هواء الليل الدافىء . . إنهما الآن وحدهما . . في هذه الليلا الإيطالية . عرفت الآن لماذا كانت أمها مبتهجة ، ولماذا وافقت كارولين على اختيار كير لمكان شهر العسل .

لم تملك سيانا أدنى فكرة عن وجهة سفرهما . . لكنها عرفت أن لا خيار أمامها سوى أن تنفذ ما يقوله لها ، فتبعته كالعمياء إلى المطار ، وقد أرهقتها ضغوطات اليوم ، وضغوطات التظاهر والتمثيل ، حتى أمام أمها . ارتسمت بسمة في مقعدها . . وقد نناها التعب عن السؤال . ولم تبذل جهداً آخر لتعرف وجهتهما . . ولم تشك في المكان الذي ستمضي فيه شهر عسلها إلا حين رسا على رحلتهما للمرة الأولى .

استدارت نحو كير بذهول! ثم هتفت :

- بيتزا! نحن ذاهبان إلى إيطاليا؟

- هذا صحيح . . قال توسكانيا على وجه التحديد . اعتقدت أنك تحبين أن تشاهدي المكان الذي تعرفت فيه أمك إلى أبيك . . المكان الذي سميت باسمه ، لقد استأجرت فيلا خارج «سيانا» بالضبط .

كانت تعتقد أن الأمور لا يمكن أن تسير أكثر ، لكن يبدو أن القدر ما زال يخبىء لها هذه المفاجأة الأخيرة . . هنا في قلب الريف التوسكاني التقى والدها بوالدتها . . وأغواها . . ثم تخلى عنها ، وتركها وهي حامل بأخيرها هي وحدها مع الرجل الذي تدعوه زوجاً . . على الأقل ، لاثني عشر شهراً فقط .

وفجأة استرعى انتباهها حركة خفيفة ، ولفت نظرها لمعان أبيض . . إنه هنا . . لقد أقبل كير إلى الشرفة ، وها هو يسير نحوها . . ببطء رفعت رأسها واستدارت لتواجه زوجها . . من هنا ، حيث وقعت أمها بحب أبيها وتركها لوحدها يائسة ، مكسورة القلب . . من هنا ، زواجها الضحك الساخر . . سيفا .

* * *

www.rewity.com

٥ ـ وقت الحساب

لقد كان يراقبها منذ وقت طويل.

رآه واقفاً بصمت في ظل الباب، متخفياً عن الأنظار فيما جسمه الطويل مستند إلى الجدار يراقب هذه المرأة التي أصبحت الآن زوجته.

يا إلهي.. إنها جميلة! لقد أسدلت شعرها الطويل القاتم على ظهرها، وحررته من عقدته التي كانت تحتجزه طوال النهار. فإذا بخدها الممتلئين، وفمها الشهي، يبعثان فيه ذكريات قديمة.. استعاد يوم رآها للمرة الأولى، حينها اعتقد أن عينيها سوداوان كعينيه. لكن ما إن استدارت، حتى شعشعه لونهما الهادىء الشبيه بلون البحر، فأعجب بطبيعتها الفريدة وجمالها الأخاذ.. وتعاظم ذلك الإعجاب، بعد أن تعرف إليها.

بعد أن أصبح يعرفها!

ضحك كبر بصمت وسخرية.. يا لغبائه!.. إنه لا يعرفها أبداً.. كل ما يعرفه حقاً، هو ذلك الجاذب الفوري الجارف الذي جمعهما معاً منذ المرة الأولى. ولم تنضب الجاذبية يوماً بل كانت تشتد وتقوى مع مرور كل يوم.

وها هو الآن بكل بساطة.. يتطلع إلى صفاء وجهها.. وإلى جسدها المنحوت من خلال ثنايا القستان الليلكي الناعم. بدت هذه النظرة أشبه برفسة قوية تلقاها في معدته، وجعلت أنفاسه جميعها تخرج من جسمه حتى بات يتألم شوقاً لها أما بالنسبة لما يدور في ذلك الرأس فهو من عالم الغيب.. وعند هذه النقطة يجد نفسه يتخبط في ظلام من الجهل...

لهذا صمّم على رحلة شهر العسل هذه.. إنه يعرف أنها لا تتوقعها. فهي لا شك تعتقد أنهما سينطلقان من حفلة العرس إلى بيته بانتظار جهوز منزل أبيها. وهكذا تعمد أن يخدعها بهذه الخطة المفاجئة.

وفجأة أفلتت منه حركة خفيفة لم يستطع السيطرة عليها. استدارت سيانا عدلة، ورآته ينضم إليها.

سألته: «لماذا كنت تقف وحدك في الظلام؟».

ـ لم أكن أقف في الظلام.. بل كنت أراقبك.

لم تتوقع منه هذه الجرأة في الإجابة.

ـ تراقبني؟ لماذا؟

ـ لأني أحب أن أنظر إليك.. ولمَ لا؟ ألا يمكن لرجل أن ينظر إلى زوجته؟

ـ نحن لسنا زوجين عاديين.. أتريد فنجاناً من الشاي؟

ـ شكراً.

تناول منها الكوب ببطء متعمد، فتلامست أناملهما لبضع ثوان وباشرت العيون كلاماً صامتاً.

ـ إذن، من غير الطبيعي أن يعجب الرجل بجمال زوجته؟

كانت سيانا على وشك أن ترشف من فنجانها، لكن ما إن سمعت كلامه حتى ألقته جانباً بسرعة خرقاء. فتدارك كبر الوضع وسارع ليمسك به قبل فوات الأوان.

ـ بالطبع هذا طبيعي! لكنك لست مضطراً لتمثيل دور الرومانسي العاشق لمجرد أننا في شهر عسل.. على أي حال، كلانا يعرف أن هذا غير حقيقي.

ـ من قال إنه مجرد تمثيل؟ أعتقد أنك جميلة فعلاً.. أردتك أن تعرفي هذا!.. أما بالنسبة للرومانسية.. فنحن في إيطاليا.. أكثر البلدان رومانسية في العالم..

قاطعته بحدة: «ليس هذا برأيي أمي.. أشك كثيراً أنها قد ترغب في العودة إلى هنا. أعني.. لن تستعيد هنا إلا الخيانة وذكريات القلب

www.reality.com

الكسور».

ـ أنت على خطأ..

ـ أوه.. أصبحت إذن تعرف أمي أكثر مني؟

وضع فنجانه من يده بحذر:

ـ هل ناقشت الموضوع معها؟ أعني نقاشاً حقيقياً؟ أظنك ستكتشفين أن ذكرى إيطاليا غالبة جداً على قلبها.. ففيها وقعت في الحب، وفيها أحبّا رجل حياتها...

قهقهت سيّانا بسخرية وكأنها تعطيه رداً واضحاً وصريحاً. لكنه تابع:

ـ حسن جداً.. ظنت أنها محبوبة.. ومع أن النهاية كانت تعيسة إلا أنها عاشت أياماً من الحب.

سألته:

ـ من الأفضل إذاً أن يحب المرء ثم يخسر حبّه على ألا يحب أبداً؟

ـ بالضبط.

ـ عليك أن تساعدني إذا لم أوافقك الرأي.

سألها: «ألا تعتقدين أن دين كان يستحق العناء؟.. لقد عرفت الحب ولو لمرة واحدة..».

ـ لا أعتقد أن دين يستحق شيئاً! بل ليتني لم ألتق به قطّ!

لم تعجبها النظرة التي رمقها بها، ولا تبدّل تقاسيم وجهه، وأخذت تتساءل هل هي صادقة أم لا.

أكملت: «لا أريد أن أتحدث لا عنه ولا عمّا يمت له بصلة.. قل لي، هل لأمي ذكريات سعيدة في سيّانا حقاً؟».

هز كير رأسه الأسود بالإيجاب، ثم رشف بسرعة من الشاي ببطء.

ـ قالت لي إنها إحدى أجمل الذكريات في حياتها، وأضافت أنه من المستحيل إلا أن تحتفظ بالذكريات الجميلة.. يكفي أن العلاقة أثمرت عن زهرة جميلة هي أنت.

ـ كان حديثكما مشوقاً فعلاً.. أليس كذلك؟

ـ الكلام مع أمك سهل، وحديثنا دوماً مشعب، ومثير.. تعجبني كارولين وأظنني أعجبها.

ـ أوه..

مدت سيّانا يدها مجدداً إلى فنجانها لتدفن نفسها فيه. فانهالت خصلات شعرها الأسود على وجهها.

ـ ليتك لم تفعل.

ـ أفعل ماذا؟ أتحدث إلى أمك؟ سيّانا أنا صهرها.

ـ صهر مؤقت.. ماذا؟

كان كير قد ألقى فنجانه بحدة على الطاولة، فرفعت رأسها واحتجت بشدة.

ـ حسن جداً.. هذا صحيح!

ـ إنك تعرفين أنه صحيح.. وأنا أعرف بدوري هذا!

قال ذلك بحدة ومرارة. فاضطربت حين رأت عيناه تعكسان ضوء القمر بريقاً وغموضاً.. وما لبث أن أكمل:

ـ على الجميع أن يصدق أن زواجنا حقيقي. على الأقل هذا ما طلبته. وسيبدو الأمر غريباً إذا لم نقل شاذاً، إذا لم أتفق مع أمك، لا سيما وأنها ستعيش معنا.

إزاء لهجته هذه، لم تجد سيّانا سبيلاً للإنكار.. لا بل أحست بالعناء لمجرد طرحها للموضوع.

ـ أستطيع أن أتفهم قلقك لكن لا داعي لكل هذا، حقاً.

مال إلى الأمام ثم تلقف يدها عن الطاولة.. وما لبث أن غمرها بدفء أنامله.

ـ صدقيني، لن أؤذي والدتك سيّانا، يجب أن تعرفي هذا، صدقيني.

ـ أنا.. أدرك هذا...

أخذت سيّانا تحدث نفسها أن لمسته وحدها أثارت فيها التوتر.. فهذا الاتصال نسف عقلها، كالعادة.. لكنها، اضطرت مكرهة إلى الاعتراف أن

www.rewity.com

الحقيقة أكثر تعقيداً.

لن أؤذي أمك أبداً. ـ ولماذا اندفعت إلى تصديقه على هذا النحو؟ ترى، هل سيقدم التأكيد عينه لسيانا؟ هل سيخبرها بذلك بالقناعة عينها: «أنا لن أؤذيك أبداً؟».

وأحدثت فيها هذه المشكلة ثورة اضطراب. «يمكن لكبير أن يقدم على أي شيء، يمكن أن يؤذيها.. فعلى أي حال، ألم تختره لهذا السبب؟ كما أنها ستعمل، وكلها عزم وتصميم على تجنب التورط العاطفي معه.. لا سيما بعد دين. فهل يمكن لتصرفاته أن تبعث فيها الألم؟

ـ لماذا هذه التنهيدة الكبيرة؟

لم تدرك من شدة وعيها أنها قد تركت مشاعرها مسرحاً لتعليقات كبير.. على الفور تنبهت لنفسها، وقد صدمتها أفكارها الغريبة.

ـ كنت أفكر بأمي و.. بأندرو ناش.. ما زلت لا أستطيع أن أطلق عليه اسم والدي..

ـ هذا طبيعي. على كل حال، أنت لم تربه من قبل.. والوالد ليس مجرد إنسان ساهم في تكوينك.. لقد تخلى أندرو ناش عن هذا اللقب حين تخلى عن أمك منذ ما يزيد عن عشرين سنة. وندمه الذي جاء متأخراً لا يغير الواقع.. أخبريني، هل ارتكبت غلطة ما سيانا؟

ـ غلطة؟

قطبت جبينها بارتباك حين تغيرت رنة صوته، وتبدل سؤاله. كان صوته قد أصبح مجرد همس أجش.. همس أثار أعصابها حتى أخذت ترتجف بتجاوب مضطرب.

قال: «أقصد عندما جئت بك إلى هنا؟ هل أخطأت حين اخترت إيطاليا مكاناً لشهر العسل؟ أكنت تفضلين فرنسا. أو ربما مكاناً استوائياً.. فيه شاطىء رملي وأشجار نخيل؟».

سارعت سيانا نطمئنه:

ـ لا! لا.. أنت لم تخطىء. كلمتني أمي عن توسكانا كثيراً، ولطالما

أردت أن أراها.

أحست فجأة بالاضطراب والتململ، فقامت مسرعة واتجهت إلى الجدار الحجري الذي يحد الشرفة.. كان الريف مظلماً كلياً عدا بعض الضوء المبعثر هنا وهناك.

ـ أين تقع سيانا؟ إلى الشمال أم الجنوب؟

ـ إلى الجنوب.. من هنا.

تقدم كبير إلى جانبها يشير بعيداً إلى اليمين.

ـ فرنسا في الاتجاه المعاكس. أما على الطريق الذي سلكناه إلى هنا فتقع سيانا.

ـ أعرق شوقاً لرؤية الريف في النهار.. أخبرني الجميع أنه جميل أخاذ.

ـ إنه كذلك فعلاً.

كان رد كبير مشيعاً بالحيرة.. وكأنه يتحدث إلى إنسان غريب. لاحظت أنهما يتحفظان في التعبير عن مكنونات قلبيهما بطريقة جعلت مزاجه يزداد سوءاً لحظة بعد لحظة.. بالتأكيد لم يتوقع أن تراوده هذه الأحاسيس في ليلة زفافه.

ماذا توقع إذن؟ داهمه هذا السؤال حتى أنه لم يدر له جواباً. والحقيقة أنها جعلته يغرق في الظلام الدامس لذا لم يكن قادراً على معرفة ماذا يفعل أو كيف يتحرك ويتقدم.

لكنه ظل يترقب شيئاً ما.. لقد ظن أنه مقبلٌ على تجربة جديدة.. فبعد أن أزاح لوسيل عن الطريق، ودفع دين الشرف لأبيه، أحس أنه سيتحرر أخيراً من كل المشاكل التي قضت مضجعه إلى درجة الإحساس بالنشاط المفرط. ولكن بدل هذا شعر بالانحطاط والتفاهة، ورافقه قلق متململ منذ أن استيقظ من النوم، فبات متوتراً كقط على صفيح ساخن.. لم يحس بالحرية، بل كان مزاجه أسود متعكراً.. كأنه استبدل التزاماً بآخر.. وهو الآن، غير متأكد أيفضل عقداً مالياً مع لوسيل أم هذا القيد الذي ربط به نفسه؟

www.rewity.com

سألته: «أتيت إلى هنا من قبل؟».

ـ مرتين.. كانت آخر عطلة قضيناها كعائلة في نوسكانا.. في السنة التي سبقت وفاة أمي.

لم تدر سيانا لماذا أجفلت... أهي الكلمة، أم رنة صوته الكئيبة؟

ـ كم كان عمرك؟

ـ تسعة عشر.. كنت قد أنهيت سنتي الجامعية الأولى. لم أتحمس كثيراً لفكرة السفر مع أبوي.. لكنني اقتنعت أخيراً، وسأبقى طوال حياتي شاكراً ربي لأنني وافقتهما في نهاية الأمر.. بعد ستة أشهر، اكتشفت أمي أنها مصابة باللوكيميا، أو سرطان الدم، وبعد ستة أشهر، ماتت.

ـ أوه.. كير.. أنا آسفة جداً.

على الفور، امتدت يدها لتشد على أصابعه القوية فوق الحاجز الخشبي.. لهذا إذاً نشأت العلاقة الدافئة بينه وبين أمها.. فقد خسر والديه في وقت مبكر، لذا من الطبيعي أن يشعر نحو كارولين بعاطفة هي أشبه بعاطفة الابن لأمه.

ـ وكم مضى من الوقت قبل أن يتزوج والدك بأخرى؟

ـ أربع سنوات.

باغته سؤالها عن لوسيل، وعكّر مزاجه كثيراً.. لكن سيانا تجاهلت ذلك لم تابعت بفضول:

ـ إنها أصغر عمراً مما توقعت!

ـ لا تكاد تبلغ الأربعين.. إنها أكبر مني بسبع سنوات.

لست مزيجاً من الانزعاج والتوتر، وما لبثت التشعيرة أن مرت في ظهرها على الرغم من دفء الأسية.

ـ إنها...

ـ دعيها خارج الموضوع سيانا.. لا أوبد أن تتطفل زوجة أبي عليّ في ليلة زفافي.

ـ ليلة زفافك؟

وعلى الرغم منها تراجعت خطوة إلى الوراء، وقد فقدت السيطرة على أعصابها. في غمرة استغراقها في طبيعة إيطاليا، نسيت لماذا هما هنا. واستطاعت أخيراً أن تدفع كل الأفكار من رأسها خارجاً.. لكنه بكلمتين اثنتين استطاع أن يطيح بكل جهودها حتى كاد قلبها ينخلع من شدة الخوف.

ـ أجل.. بالطبع.

أفلتت منها همسة شقت طريقها إلى مسامعه:

ـ ما الأمر سيانا؟ هل تخططين للتهرب من اتفاقنا؟

ـ لا.. الأمر فقط..

ولم تستطع إتمام الجملة.. تسمرت الكلمات في حنجرتها.. إن الموافقة على شروطه في لحظة يأس شيء وفكرة مشاركته الفراش شيء آخر... في ذاك الحين كانت مجرد... فكرة.. لا أساس لها من الصحة. لكن وقت الانتظار قد انقضى، وها هو كير يطالب حسابه.. حان الآن.. موعد الدفع!

قال بصوت ناعم مناجي:

ـ معي..! لا تخافي هكذا.. أنا لن أؤذيك.

ـ أنا.. أعرف هذا!

لعنت سيانا هذا الارتجاف الذي ظهر في صوتها.. حتى أن اقتنعت أنها قادرة على هذا.. اقتنعت أنها ستهزم كل خوفها وكل شوقها إليه في الوقت المناسب وفي المكان المناسب.

لكن لا يبدو أن كير يفكر بالطريقة نفسها.. مع ذلك، لم يأخذها بين ذراعيه، بل تراجع خطوتين إلى الوراء، وابتعد عنها.. وبدلاً من الشوق الملتهب الذي ترقبته، حلت بينهما مسافة باردة، وحفل الجو بالتوتر، وأحست بالارتباك يطبق خناقه عليهما. ضاقت عيناه السوداوان بتفكير عميق، وأخذ يتفرس بها بنظرات لا عاطفة فيها بعثت في نفسها الاضطراب.

ـ هل ظننت أنني سأجبرك؟ أحقاً؟ اللعنة سيانا.. ألم تعرفيني يوماً؟ أنا لم أجبر امرأة قط ولن أفعل ذلك الآن.

لهان الأمر لو فعل.. أخذت سيانا تضعف شيئاً فشيئاً.. وتجمد الدم في

www.reading.com

عروتها.

تأملت وجه كير المتحدث بدقة.. كان النسيم الخفيف يتلاعب بشعره. وكان خفقان قلبها يضج في رأسها حتى كاد يصرعها. لكنها تركت الهوة بينهما تتسع.

- سيّانا!

همس باسمها بصوت معبر جداً وكأنه يناديها بمناغاة ونشاد صبور. وطريقته هذه في الهمس لها أصابتها برعشة مباغتة.

- أوه.. يا للجحيم! اسمعي سيّانا.. كان يومنا طويلاً.. وأنت متعبة.. نعم.. أريدك لكنني أريدك بإرادتك.. أمامنا الناعشر شهراً.. وهذا أكثر من اللازم.

- إنه وقت كاف لتحصل على ما تريد، لم تتعب مني؟

ردّ بحدة: «هذا أمر وقف عليك.. لكنني لست على عجلة من أمري».

هز رأسه وهو يتلاعب بشعره ثم استرسل:

- كان يوماً ضاغطاً.. فإن أردت بعض الوقت.. أو فرصة للترويح عن نفسك.. أفهم هذا. لهذه الليلا أربع غرف نوم، وإن فضلت النوم وحدك هذه الليلة، فاختاري الغرفة التي تعجبك.

- ماذا؟

نظرت إليه سيّانا بمزيج من الدهشة، والارتياك وعدم التصديق، هل يعني...؟ أيمكن أن يعني...؟

أرادت أن تغتنم هذه الفرصة الذهبية. فماذا لو نامت وحدها، الليلة أخيرة؟ ما إن أخذت تقلب الفكرة في رأسها حتى حلّت مكانها فكرة أخرى، أكثر قلقاً.

لهذه الليلة.. قال هذا بتركيز متعمد وكأنه ينبهها إلى أنها ليلة واحدة فقط. لعله الآن متساهل وكريم إلى حد بعيد، لأنه حصل على مراده تحسب.. أما الليالي التالية فشأنها مختلف..

«بعد الزفاف الملائم، سيكون زواجنا حقيقياً». هذه هي شروط كير..

ما من طريقة لتحررها من اتفاقهما.. إلا لو تراجع هو عن وعده.

لكن التأجيل سيزيد الطين بلة ولن يزول هذا الارتباك أبداً بل سيزداد سوءاً مع مرور كل ثانية.

فقدت الإحساس بشفتيها فيما سعت جاهدة لصياغة الكلمات:

- لا تكن سخيفاً كير! لا نستطيع النوم منفردين.. نحن متزوجان! وفي شهر العسل.

- لكن، وكما أشرت، هذا ليس شهر عسل طبيعياً.

أخذت نزن النتائج في رأسها، أما أنفاسها فباتت أشبه بشهقات سريعة غير متساوية. وأردف كير:

- ولو أنني مضطر إلى التساؤل عما تعنيه كلمة «طبيعي» في هذه الظروف.

حاولت سيّانا أن تتكلم، لكن عبثاً. ثم بللت شفتيها بتوتر.

- أنا واثقة أن أي زوج يتوقع أن.. أن ينام مع زوجته في أول ليلة من حياتهما الزوجية.. وأنت أكثر من.. غيرك.

- ولماذا أنا أكثر من غيري، يا سيّانا الجميلة؟

تغيرت رنة صوته الذي لمست فيه خطورة كبيرة لأنه ركّز على سؤاله بشدة.

- لأننا عقدنا صفقة، ولا شك أنك ستطالب بحقك.

قالت هذا وهي تحاول أن تقرأ تعابيره، بلا جدوى. فالظلام كان دامساً ولكنها قدرت أن العبوس الأسود قد اكتسى قسمات وجهه، حتى بات أشبه بضباب العاصفة الرعدية الذي يتجمع في الأفق.

- وكأنك تلمحين إلى أنني أجمع مال رهان سيء. أذكرك أنك سبق أن أعطيتني معظم ما وعدتني به.. لذا يمكنني أن أكون كريماً قليلاً.

«معظم ما وعدت به» طعنتها كلماته كالسكين. فإذا بجرحها ينزف ولا طبيب.. ليس من الممكن أبداً أن تشك في كلامه.. ألم يحضر وثائق البيع، حالما انتهت مراسم الزواج؟

أهي بحاجة إلى مزيد من الدلائل لتعرف أنها لا تعني له شيئاً؟ زواج

www.rewity.com

حقيقي . . حقاً! إنه لا يعني شيئاً من كلامه، بل كل ما أراده هو أفضل صفقة يمكن أن يحصل عليها .

بالطبع يستطيع أن يكون كريماً! لقد أتى بها إلى حيث تمنت أن تكون . لكنها تحتل الدرجة الثانية بعد عمله!

بدا الأمر وكأن جرعة من «الأدرينالين» قد أصابتها في الدماغ . وأحست فجأة بالحرية . بدا أن كير لا يكن لها الكثير من العواطف، فيمقدورها أن تجاريه خطوة خطوة . وبإمكانها أن تستغله كما خطط لاستغلالها . ستنعم بالمتعة التي يوفرها لها . . ولن تعطيه البديل .

وفي نهاية السنة، ستنفصل عنه بكل بساطة وقلبها حرّ، مثل قلبه .

ـ أجل . . كنت كريماً . . نعم أي حال، لقد تخليت عن حريتك لتساعدني .

بدا صوتها بارداً، متكلفاً، وقد ألقى بثقله عليهما . . حين تأمل قليلاً عرفت أنه فهم إشارتها إلى تعليق توسيل على زواجهما . . فهمها ولم يعجب مطلقاً بما سمعه .

استطردت: «لكن بيننا اتفاقاً يا كير . . وأنا أنوي أن أفي به . . وبهذه الطريقة لا يمكن لأحدنا أن يدعي أنه مخدوع» .

رد كير ببرودة المائل ببرودها . إذاً لقد قرر محاربة الثلج بالثلج .

ـ أوه . . لن أطالب بهذا أبداً يا حلوتي . . فأنت حتى الآن تلتزمين بحرفية عقدنا .

لذعتها كلماته الأخيرة، لكنها تجاهلته، وهي ترد:

ـ وأنا أنوي أن أفي بما وعدت به .

ـ في هذه الحالة . . .

مد كير يده إليها فيما وجهه خال من الابتسامة، ولا أثر للدفء في عينيه .

ـ هل لنا أن نصعد إلى الطابق العلوي؟

* * *

٦ ـ ليلة الزفاف

استجمعت سيانا شجاعتها ثم دست يدها في يده . بدت قبضته القوية أنيه بطبق بأسنانه عليها . وكل ما استطاعت فعله هو ألا تجفل متوترة وتنزع يدها منه وكأنها احترقت .

قادها إلى داخل المنزل من دون أن ينبس بكلمة . ثم صعدا إلى الطابق العلوي، ودخلا إلى غرفة كبيرة . كانت جدرانها مكسوة بألواح السنديان، وأثاثها بسيط . أخبرها منذ وصولهما أنها ستكون غرفتهما طيلة مدة إقامتهما . . أمعنت سيانا فيها النظر . . كانت النوافذ الخشبية قد أقفلت بإحكام فبدت الغرفة معتمة سوداء . واجتاحتها برودة مكيف الهواء بعد دفء الأمسية في الخارج . . بعد ثوانٍ، ضاقت بالبرد والرطوبة، فراحت تقاوم لئلا ترتعش . . فلو ارتجفت لاعتقد كير أنها خائفة وهي عازمة على إخفاء مواجسها عنه .

كانت الخادمة قد أفرغت الحقائب . . فتذكرت سيانا أن هذه ليست مجرد عطلة عادية، بل من المفترض أن تكون شهر عسل . وحين أفسح لها كير المكان، وقع نظرها أولاً على ثوب حريري أبيض طويل، ملقى فوق الوسادة بعناية .

فجأة أطلق قلبها خفقة مؤلمة . . . فقد وقع نظرها على سرير مزدوج ذي غطاء أزرق قطني . . كان يحتل الغرفة كلها حتى بات النظر إلى مكان آخر مستحيلاً . . أدار هذا المشهد رأسها، ثم أحست بساقيها تضعفان . ومن دون تفكير، شدت قبضتها على ذراع كير .

www.rewity.com

ـ اهدئي.. يا حلوتي.

راح يهمس لها بنعومة، وكأنها فرس أصيلة يخشى أن تجفل.

عندئذٍ تصورت ما سيقدمان عليه، فهاجمتها الفكرة..

لكن أين تذهب؟ لن يفيدها الهرب أبداً، بل سيؤخر الأمر للحتم فحسب. لم تستطع أن تتصور الإذلال الذي سيلحق بها حين يقبض عليها كير، ويعيدها عنوة إلى الغرفة... صرت أسنانها بقوة لتمنع ضحكاً يقارب الهستيريا.. لقد أشرفت بنفسها على إعداد السرير.. وعليها الآن أن تعد نفسها على الاستلقاء فيه، وإلى جانبها كير.

ـ لا داعي للتوتر.. بإمكاننا أن نتعامل مع الأمر ببطء كما تشائين.. أمامنا وقت طويل جداً.

تقلصت يد سيانا، ثم ارتفعت إلى فمها، لتسحق أنين اليأس الذي كاد يفلت منها.. كيف تخبره أنها لا تحتاج إلى الوقت؟ وأن التباطؤ هو آخر ما تتمناه؟

فالوقت سيمنحها فرصة كبيرة للتفكير.. وستتأكد حينها أن لا مجال للهرب.. فهذه صفقة تجارية ولا شيء غير هذا! لن يقدم لها كير الحب، ولن يلطف الحقيقة القاسية بل سيبقى دائماً هذا الرجل البارد الدم.

أما ما تحتاج إليه، فهو دموعة المشاعر التي كانت تجتاحها كلما عانقها كير في الماضي؛ ذلك الإعصار من الأشواق الذي كان يستبد بها، ويتركها عاجزة عن التفكير، لا تقوى سوى على الإحساس بالشوق.. بالتشوق.. لو اكتسحتها تلك العاصفة من المشاعر الآن، لانقضى الأمر بسلام.. ولدمرت هذه العاصفة كل شيء آخر.

بدا كير متردداً. وما لبث أن قادها إلى منتصف الغرفة، وترك يدها ثم أدارها لتواجهه:

ـ لعلك تحتاجين إلى خلوة؟ وقت لـ...

والتفت إلى قميص النوم على السرير ثم إلى الباب الداخلي الموصل إلى الحمام، وأكمل:

ـ... لتنعشي نفسك.. وتستعدي..

وتخدر إحساسها حتى فارقتها الكلمات، هزت رأسها بصمت. وما إن ابتعد عنها حتى تصاعد الذعر في وجهها.

ـ لا!

كانت صرخة مكبوتة، لم تستطع أن تردعها. جد كير في مكانه برهة ثم استدار بحدة:

ـ لا؟

ـ لا.. لا أريد أن تتركني وحدي وكأنني عروس قديمة الطراز من العهد الفيكتوري. لا أريد أن يتركني العريس لأستعد مرتقبة عودته.. لا أريد أن استحم، ولا أن أسرح شعري، ولا أن أعطر بشرتي، كي يتمتع زوجي بحقوقه الزوجية.. ويتملكني ملكه.. قد يكون هذا ملائماً لو..

فجأة حبست الكلمات على شفتيها، اندثرت إلى لاشيء بسبب قوة التوهج في عينيه، ونار غضبه المحترق.

أنهى لها كلامها: «لو كان هذا زواجاً حقيقياً؟ كنت مصممة جداً على أنه ليس حقيقياً.. يا حلوتي سيانا.. لكنه سيكون حقيقياً، على الأقل للفترة المتفق عليها في العقد.. إما زواج حقيقي وإما لا زواج أبداً.. اختاري، أتقولين إنك تريدين إلغاء هذا الزواج وأن يتكشف على أنه مهزلة، كما هو فعلاً؟».

اتجهت عينا سيانا الكبيرتين إلى ثوب النوم على السرير. الثوب الذي اشترته لها أمها. كان وجهها النحيل يطفح بالسعادة وهي تقدمه إلى ابنتها كجزء من الجهاز، ونصحتها أن ترتديه الليلة، كي تكون عروساً جميلة لعريس رائع.

ولكن هل تقوى على مواجهة أمها لاحقاً؟ لا يتعلق الأمر بالميراث فقط. كيف تخيب أمل كارولين، وتكشف لها أن زواجها الذي يماثل القصص الخرافية روعة وسعادة، ليس إلا وهماً بوهم؟ كيف تخبرها أنها خطة أعدتها بكل برودة ودهاء لأسباب مادية وحسب؟ لا يمكن أن تتحمل والدتها هذا..

www.reading.com

قطعت سيانا حبل أفكارها بغتة ثم قالت بسرعة:

ـ لا.. لا.. ليس هذا ما أريده.

حثها كير بخشونة: «إذن.. ماذا تريدين؟ هيا سيانا.. لقد أخبرتني بما لا تريدينه.. ألم يحن الوقت لأن تذكري ما تريدين؟»

ـ أنا.. أنا..

بدت عيناه عميقتين سوداوين، حتى إنها لم تستطع أن تبعد نظرها عنهما.. ووجدت نظراتها غارقة ومأسورة ومسمرة عليه.

إذن هذا هو شعور التنوم مغناطيسياً، إنه إحساس لا يمكن للمرء أن يسيطر عليه.

هتف كير: «قوليها الآن.. قولي لي ما تريدين، وسيكون لك ما تطلبين».

فجأة هان كل شيء.. فجأة عرفت ما تريد، وكأن لا شيء آخر في العالم.. لم يُسمع في الغرفة سوى سكون الليل الأجش. بينها وبين هذا الرجل، شراكة بدائية كالزمان قدماً وأزلية، كانت موجودة هناك في عمق حدقتيه السوداوين الواسعتين، وفي هذا اللون الذي امتقع به وجهه.. وكان يتردد صداها في أنفاسه المتقطعة وفي دقات قلبه المتلاحقة.. الآن، في هذه الغرفة، وليس في أي مكان آخر.

أجابته بصوت متكسر:

ـ أريد أن تعانقني.. كير.. أريدك أن تعانقني.

ـ فلتسكتك لن تطلبي هذا أبداً.

تحرك بسرعة قبل أن تعي ما تفوهت به. فجأة أصبح بقربها. يضمها، يحيطها بذقنه وقوته. طوقت ذراعه خصرها، والتفت الأخرى حول كتفيها ورفعها بقوة حتى التصقت به. كان رأسها إلى الوراء، وكان هو يعانقها بشوق شرس تتخلله حرارة مجنونة ونيران مشتعلة.

كان العناق كما تخيلت.. وكما أملت.. لم يعد هناك مجال للتفكير، بل للأحاسيس وحسب.. لا شيء في رأسها سوى الأحاسيس.. لا شيء في قلبها

سوى لهب يماثل ويتفوق على ناره. لا شيء في نفسها سوى حب عاصف.

أصبحت عاجزة عن الصمود في وجه الطوفان الذي اجتاحها، ليجرف معه كل مخاوفها.

لثمت مرة أخرى وصوتها يرتجف بيأس:

ـ أريدك.. أريدك.

همست بهذه الكلمات من دون أن تشعر.

كان رده همساً أجش.

ـ أريدك حبيبتي..

ارتفعت يداه إلى مؤخرة عنقها. هذه المرة، تلاشى كل التوتر الذي اعتراه منذ لحظات.

أغمضت عينيها، وارتجفت تحت هجمات المشاعر التي توالت عليها.. ومن حرارة يديه، تدفق إحساس خانق إلى داخلها وكأنه تيار كهربائي حارق.

همست دون وعي: «أريد أن تجعل شهر عسلنا حقيقياً».

تجعله حقيقياً..! ترددت الكلمات في رأس كير بينما اختنق صوتها بوحدة ابتهاج..

شعر بالارتباك يغزو تفكيره، كان تحت رحمة مشاعره.. كاد يقول لها.. كاد يفتح فمه ويصرح بالحقيقة. لكنه أدرك في اللحظة الأخيرة أنه قد يدمر كل شيء.. فصر على أسنانه بجهد، ثم ابتلع الكلمات الخانقة بصعوبة.

وبنبرة خشنة تمتم في أذنها: «سيكون شهر عسلنا حقيقياً، لن تنسيه أبداً».

ثم أسكتها بعناق ملؤه الشغف والحب والشوق.

تمتم بصوت متثاقل:

ـ عرفت أن الأمر سيكون على هذا النحو.. عرفته منذ المرة الأولى التي عانقتك فأنت تتسفين كل تعقل بحيث لا أستطيع أن أفكر جيداً..

راقبها وهو يكمل:

www.rewity.com

ـ ولا أنت كذلك . . أتعلمين ما يضيرني حين أراك بين ذراعي جيل رقيقة . . ؟

قالت بصوت مقطوع الأنفاس : «أنا لا أرى سواك . . » .

وأخذت تضحك برنة انتصار وهي تراه يتسع استجابة لقولها . . كيف لهذا الرجل الباذخ أن يصبح تحت رحمتها هكذا؟

قال مؤنباً بنعومة : «أيتها الساحرة!» .

ـ كير!

بدا اسمه صرخة احتياج يائسة . . وكانت بداية لليلة طويلة جداً . . ملؤها الرغبة والشوق الحارق ، ولم يناما إلا حين داهمتهما الشمس وتصاعدت حرارة النهار .

قبل أن تخلد سيانا إلى النوم ، تحركت قليلاً وتمكنت من رفع رأسها لتنظر إلى عيني كير السوداوين الضبابيتين . ثم تمتمت :

ـ سأقول لك شيئاً واحداً يا زوجي . . لقد أتممت واجباتك على أكمل وجه .

كانت متعبة جداً فلم تلاحظ تصلب عضلاته إلى جانبها . . ولا أحست بالجهد الذي قام به ليسيطر على أفكاره ومشاعره الثائرة .

ورد عليها : «لقد وعدتك بشهر عسل تذكريه أبداً . . ويجب أن تصدقيني حين أقول إنني أنوي فعلاً أن أفي بوعدي» .

* * *

٧ ـ سبحة الذكريات

همست سيانا وهي تنظر حولها بذهول :

ـ لا أستطيع أن أصدق أنني هنا حقاً! لا أستطيع أن أصدق أنني في سيانا ثيرا!

رنت بطرف عينها فلمحت كيف لوى كير فمه بهدوء ، وعرفت ما يفكر فيه . . لا يمكن لأي منهما أن ينكر أيهما ما تأخرا في الوصول إلى سيانا إلا لأنهما وجدا صعوبة كبيرة في النهوض من الفراش .

بعد تلك الليلة الليلة بالحرارة ، انغمسا مرات ومرات في شهر العسل . . نارة يتبادلان الحب ، ونارة ينامان لما تبقى من الليل ، وأحياناً أخرى تراودهما رغبة في الطعام والسباحة ، فيتردان نشاطهما في سرير الفيلا .

لكنها ليست القصة بكاملها . . في الحقيقة ، أنساهما هذا الانغماس الغرامي لعشرة أيام ، كل مخططات الرحلة إلى سيانا .

ردد عليها كير بتأنيب :

ـ لا تبتلعي كل ما على المائدة دفعة واحدة .

لكن رغبة سيانا في زيارة المدينة التي غيرت حياة أمها كانت شديدة .

وأضاف كير :

ـ تحتاجين إلى أخذ وقتك . . عليك أن تشعري ببقية تسكاتا . . صدقيني . . التريث جزء هام من المتعة .

رأت انحناءة وجهه ، وهذا اللمعان في عينيه ، فاستنتجت أنه لا يتحدث عن الزيارة فحسب بل عن أشياء حميمة أخرى .

www.liilas.com

وعلى هذا المنوال، راحا يكتشفان بقية البلاد معاً. فزارا مواقع سياحية معروفة كبرج بيزا المائل، وجالا في مروج كاسبو دبا ميراكولي الخضراء. ولم ينسيا فلورنسا. أخيراً مرا بممر مرتفع منحدر جداً حيث شاهدا كنيسة سان مينياتو الجميلة التي تعود للعصور الوسطى. بعد ذلك، قطعا نهر آرنو عند نقطة بونت فيكيو، وتأملا الجواهر التي تملأ المحلات ياعجاب. شجع كير سيانا أن تتذوق واحداً من أصناف الآيس كريم المختلفة التي تشتهر بها فلورنسا، عاصمة الآيس كريم في العالم. في مناسبة أخرى كانا بطيلان المكوث لساعات في شرب القهوة أو أكواب عصير الفاكهة في مطعم فاخر. قضت سيانا بهذه الأوقات.. كان حديثهما بطيئاً غير هادف، ولكنه ساعدها كثيراً على الاسترخاء، إلى أن أخذت تصدق أن هذا الزواج المصطنع قد ينجح، بالرغم من كل الصعوبات.

قالت: «يبدو وكأننا في مكان لا زمان له، لم يتغير.. لا بد أنه بدا هكذا على هذه الصورة تماماً، حين كانت أمي هنا».

ـ حسن جداً.. لا أعتقد أن إحدى وعشرين سنة قد تعني الكثير لمدينة بنيت قصورها في القرن الثالث عشر.. إزاء تاريخ كهذا، يمر ربع قرن برفة عين.

ـ أصدق هذا لأنني هنا فقط.. مع ذلك أحس وكأنها حياتي كلها.

ـ أحياناً تتغير الأشياء ببطء شديد، وأحياناً أخرى تحدث في لحظة.

لقد ضاع كير فعلاً وفقد توازنه تماماً في رفة عين. ولم يتمكن من السيطرة على نفسه منذ ذلك الحين.

مجرد النظر إليها كما هي الآن، طويلة نحيلة في فستان صيفي فيروزي دون أكمام، يماثل لون عينيها زرقة، يبعث فيه نشوة غامضة وغريباً. كان شعرها الأسود يتموج على كتفيها، وبدت ساقاها الطويلتان سمراوين بفعل الشمس. أما قدماها فاستراحتا في حذاء صيفي ناعم أنيق، لم يكن عليها إلا أن تبتسم في عينيه لتطيح بعقله بعيداً.

استدارت سيانا لتواجهه وفي لمعان عينيها فضول صريح.

ـ هذا تصريح غامض جداً.. هل تفكر بشيء محدد؟

وسرعان ما ندم على تعليقه المتسرع.

رفضت عيناه أن تلتقيا بعينيها الفيروزيتين المتسائلتين، ومد يده يشير إلى الساحة الرئيسية لمدينة سيانا.

ـ لو أتينا إلى هنا قبل أيام قليلة، لشهدنا الباليو.. إنه سباق الجياد الذي يجري في هذه الساحة.. لرأيت الجميع يرتدي أزياء العصور الوسطى.. إنه منظر مذهل.

بدا واضحاً أنه يحاول تغيير الموضوع.. لكن سيانا اهتمت بكلامه هذا أكثر من اهتمامها بمتابعة الموضوع الأصلي.

ـ سباق جياد؟ هنا؟

مرة أخرى تطلعت إلى «الكامبو» المنحدر قليلاً وقد أحاطت به من كل الجوانب أبنية مرتفعة من الأحجار الوردية اللون.

ـ لا يبدو هذا ممكناً.. أو حكيماً.

ـ تُكسى الحجارة بالرمل أما الجدران فتغطى كاملة.. مع ذلك تروى الكثير من القصص عن فرسان.. أو حتى جياد.. طاروا في الهواء.. لكن أهل سيانا يقولون إن ما من أحد قتل في الباليو.. وهذا لأنهم يحصون بحماية العذراء مريم.. لكن لعل ذلك يعود إلى مدة السباق فهو لا يدوم لأكثر من دقيقة ونصف.

ـ يبدو هذا مرعباً.

ـ ألم تشاهد أمك الباليو؟ على أي حال كانت هنا في شهر حزيران.. وتجرى السباقات الأولى في الثاني من تموز.

ـ لا.. لم تذكر لي هذا قط.. كيف عرفت بالضبط متى كانت أمي هنا؟

ابتسمت بسمة كبر في رد على تعبيرها المذهول:

ـ قالت لي إنها سمّتك على اسم المكان والشهر اللذين حملتك فيهما. لقد عرفت اسمك الكامل سيانا جون أي حزيران من وثيقة الزواج، سنذهب من هنا.

www.reading.com

أمسك يدها وقادها عبر أحد الشوارع المعتمة في الجانب الغربي من الساحة.

ـ كيف التقت أمك بأبيك؟

تلامست يداهما فاندلعت نبضات سيانا تلقائياً لكنها تجاهلت ذلك وأجابته:

ـ كانت أمي مربية أطفال لدى عائلة ثرية في سيانا... وقد وفد أبي إلى هناك في مهمة عمل... في يوم ما، دعي للعشاء عند أسرة لوريتزيتس وحينها، كان اللقاء، ثم اشتعل الحب و... بدأت المأساة.

ـ ألم يقل أبداً إنه متزوج؟

هزت سيانا رأسها غير مصدقة:

ـ ولا للحظة واحدة... لم تشك أمي بشيء إلى أن اكتشفت أنها حامل... رفض أن يكون له شأن بها أو بالطفل... بي أنا.

أطلق كير تعليقاً قصيراً جداً، فظاً، وكأنه يبرز رأيه بأنانية الدرو ناش ودناءته.

ـ لقد استغل سذاجتها... كانت في... ماذا؟ الحادية والعشرين من عمرها؟

توقفت هنيهة عن الكلام ثم أضافت:

ـ الثانية والعشرين.

ـ إلى أين سنذهب؟

ـ هذه «البادليل كابيتانو» وتقود إلى الكاتدرائية. وأحذرك، إما أن تحبيها أو تكرهيها. فما من حل وسط.

بعد وقت قصير، لم تستطع سيانا سوى أن تشهق وهي تحدق بذهول إلى الخيوط البيضاء والسوداء على طول الرخام الذي يغطي الأرض والسقيفة داخل الكاتدرائية القوطية.

ـ أنت على حق! إنها مذهلة! يبدو وكأن لا بناء آخر يماثلها فخامة وروعة.

ما إن وصلا أخيراً إلى ساحة سيانا، حتى تناولا خبزاً وجبناً وزيتوناً أسود. ثم جلسا على الرصيف في «تراتوريا» صغيرة يتمتعان بأشعة الشمس الذهبية.

قال كير معلقاً:

ـ أتعجب لماذا لم تسمك أمك كاثرين، تيمناً باسم قديسة سيانا الحامية... على أي حال لقد ولدت في مكان لا يبعد كثيراً من هنا... في «فيكوبو ديل تيراتيو».

ـ لقد فكرت به كاسم، لكنه لم يكن يحمل الدلالة المميزة لسيانا في قلبها. في النهاية اختارت اسماً يختلف لفظاً. أتعرف، هذا جنون كامل!

رفع كير رأسه وقد أثارته لهجتها. وسأل: «ما هو؟»

ـ كل هذا الحديث عن أمي وماضيها في الوقت الذي لا أعرف فيه عنك شيئاً... مع أنني زوجتك!

ارتفعت كتفاه تحت قبضته الرائع:

ـ ليس لدي شيء يذكر.

ـ لا أصدق هذا... رجل بمثل مظهرك... مالك... لا بد أنك عرفت نساء...

ـ هذا صحيح... والكثير منهن. لكن ما من واحدة كان لها أهمية... حقاً.

ـ أولم تقع في الحب قط؟

ـ الحب؟

بدا وكأنه قد استغرق في الكلمة وهو يرتشف قهوته.

ـ لطالما قال ريك باري، إن حبي الحقيقي هو العمل، وأعتقد أن هذا صحيح، بطريقة أو بأخرى... فمنذ تخرجت من الجامعة، واكتشفت أن أبي كاد يحول شركة ألبكساندر إلى مركزاً للمستثمرين استحوذت على تفكيري فكرة واحدة: علي أن أتمثل القوة من هذا المستقع الرحلي... لهذا احتلت المرأة في حياتي دائماً مكانة ثانوية.

www.rewity.com

ولم يبد نادماً على هذا فقط، بل على العكس، دلت عفويته على عدم اكتراث مطلق بالتصرفات التي أقدم عليها.

- إذن، أما من امرأة صغيرة في حياتك؟

- عرفت فتاة ظننت أني أكن لها اهتماماً مميزاً. لكن ما إن تطورت العلاقة حتى عدت إلى الاهتمام بعملي.

- بدا من حسن حظها أنها نجت بنفسها!

ارتفعت العينان بلون الشوكولا لتلتقيا بعيني سيانا الزرقاوين الخضراوين ثم تحرك فمه الشهي إزاء رنة السخط في صوتها.

- ما أحسست به حيالها لم يكن حباً.

- وهل يمكن أن تتعرف إلى الحب، حتى ولو طرق باب قلبك؟

- لو أحببتها حقاً، لما همني أي شيء آخر.. لو أحببتها لأعطيتها كل الوقت الذي تحتاجه، ولتخليت عن عملي.. وعن الشركة.. لأكون معها.

لقد أوقفها عند حدها.. هذا ما حدثت به نفسها بمرارة.. إنه غير مستعد للتخلي عن أي شيء من أجلها.. بل على العكس، لم يتزوجها إلا ليحصل على المال الذي يحتاجه وليتقذ شركته الغالية.. أما هي فلن تصل يوماً إلى درجة تلك الفتاة التي ظن أنه مهتم بها.

- إذن ماذا عنك؟

- ماذا عني؟

كانت لا تزال تناضل من أجل مواجهة الحقيقة: إنها لا تعني شيئاً لكبير.. ولم تزعج نفسها بتعديل لهجتها، بل زادتها عبوساً وتأنيباً قاتلين.

- ألن تخبرني تفاصيل حياتك الغرامية؟

- لا شيء عندي أخبره.

- ولا حتى دين الغالي؟

أصابتها سخريته في الصميم.. لمعت عيناها بغضب، ثم رفعت رأسها وأخذت ترمق وجهه بترقب.

- دين ليس من شأنك!

ردبحدة:

- سأضمه إلى شؤوني.. لقد سبب لك الأذى، أو نسيت؟

إنها لا تحتاج إلى من يذكرها بهذا! بدت مصدومة، ذاهلة. انهالت عليها أفكار جديدة لتزيدها حيرة وارتباكاً.

لقد خدعها دين.. أغواها بكلمات معسولة وأكاذيب أكثر نعومة. وبكل غباء، أحبته ولكنه لم يبعث فيها قط يوماً هذا الشعور العاصف الذي عرفته منذ تعرفت إلى كبير.

لم تشعر قط تجاه دين بما تشعر به تجاه كبير.. ولم ترده مرة كما أرادت هذا الرجل الذي يدعى الآن زوجها.. لم يرسل فيها دين هذا الشوق... لكن ما إن يلمسها هذا الرجل، حتى تقبل على الحياة مرة أخرى بشوق يائس يتوق دائماً إلى المزيد.

كررت: «لا علاقة لك بك!»

- أنت زوجتي.

كررت والألم يهز كلماتها:

- زوجتك! كلانا يعرف ماذا يعني هذا.. يا زوجي العزيز!

- أو يكون دين الغالي أفضل مني زوجاً.. يا حلوتي؟ هل كان سيأتي بك إلى هنا، إلى سيانا؟ هل كان سيوفر لك شهر عسل كهذا؟

- لم نكن مضطراً إلى شهر العسل هذا؟ لم يسألك أحداً أن تفعل!

ما إن تفوهت بهذه الكلمات اللئيمة حتى ندمت وتمنت لو تستطيع استعادتها لا سيما بعدما رأت العبوس الأسود يجتاح قسماته الوسيمة.

- أنت غطسة يا جيلتي سيانا.. قد أكون الزوج الذي استأجرته لفترة مؤقتة، لكن، صدقيني، أعرف ما هو متوقع مني. وأنوي أن أفي بعقدنا.. حرفياً.

- كبير.. أرجوك.. تعرف أنك...

- أعرف أني ماذا؟ أكثر من هذا؟ لا تخدعي نفسك، حبيبتي. ولا تحاولي التظاهر من أجلي، لأن هذا لن ينجح.. لكن يبقى شيء واحد أعرفه..

www.rewity.com

دفع كرسيه إلى الوراء بعنف وانزعاج، ثم وقف على قدميه بحركة سريعة غاضبة.

- شيء واحد لن أكونه: الثاني في قلبك. خاصة بعد صديقك الغالي دين، أو بعد أي رجل غيره. وإذا أردت البرهان...

- كير... أنا...

لكن صوتها خذلها. وإذا به يتحرك إلى جانبها ثم يقف كالبرج فوقها مهدداً، ونظرة شرسة خطيرة في عينيه. مد يده وألصق بأصابعه القوية على ذراعيها، ثم جذبها من كرسيها، وشدها إلى جسده القوي... أما هي فارتفعت عن قدميها، لا تلامس الأرض إلا بأطراف أصابعها وراحت ترتفع نحوه... ثم ضمها إليه معانقاً.

في مثل هذا المكان العام، كان عناقه أشبه بصدمة في الأعماق. سرعان ما اجتاحها مهر من المرارة الذهبية الذي تغلغل إلى كل عصب وإلى كل خلية في جسمها... ذهبت مقاومتها أدراج الرياح وساد شوق مجنون لم تستطع أن تسيطر عليه... دار رأسها وكأنها في قبضة هذيان محموم... بدا وكأن روحها تنسحب من جسمها...

مضت عدة لحظات شعرت فيها أن كير هو الإنسان الوحيد في العالم... حين ابتعد عنها أعماها اللمعان المفاجيء لأشعة الشمس وانتبهت إلى المتفرجين الذين أخذوا يراقبونهما.

تحداها بلؤم:

- الآن أخبريني أنني الثاني في قلبك... قولي لي إذا كان دين يماثلني.

حين استطاعت أن تهز رأسها، كانت عيناها لا تزالان عاجزتين عن الكلام... أما هو فرسم ابتسامة شيطانية، يتخللها انتصار أسود.

- هذا ما ظننته... انسي دين، سيكاتا... إنه من الماضي... ولقد مضى. أنا حاضرك، وأنت لي... لهذه السنة على الأقل. لن أدع طرفاً ثالثاً يتطفل على زواجنا... هل هذا مفهوم؟

- مفهوم.

كان هذا كل ما استطاعت قوله.

- جيد...

رمى بضع أوراق نقدية على الطاولة، قبل أن يشبك يده بيدها حتى منعها عن المقاومة.

- والآن، زوجتي الحلوة. سنعود إلى الفيلا حيث سأثبت لك مرة أخرى أنني الزوج الذي تحتاجين إليه.

لم يعطها فرصة للجدال كما لم يتوقع منها أي اعتراض... لكنها كانت عاجزة عن المعارضة... بكل بساطة كان تأثير عناقه يدور ويدور في أعماقها. ترى، ماذا ينتظرها حين يصلان إلى الفيلا؟ لا تعرف.

لكنها اعترفت لنفسها أنها ستذهب إلى أي مكان يأخذها إليه كير... وستفعل كل ما يأمرها به... فخلال العشرة أيام التي مرت استطاع أن يستعبدها جسدياً، وها هو يبسط سيادته على أحاسيسها حتى إشعار آخر.

* * *

www.rewity.com

٨ ـ بعيد عنكِ!

ـ سيّانا.. حبيبتي، أتعرفين أن في هذه الكاميرا فيلماً؟

قطبت سيّانا لبرهة ثم شدت انتباهها بعيداً عن اللائحة التي كانت تدرسها:

ـ أنا آسفة أمي.. ماذا قلت؟

ـ سألتك إن كنت تعرفين أن هناك فيلماً في هذه الكاميرا.

لوحت كارولين روشفورد بجهاز التصوير الفوتوغرافي أمام أنف ابنتها.

ـ أتعرفين متى استخدمناها آخر مرة؟

ـ أوه..

عضت سيّانا على طرف لسانها وهي تفكر بالرد، ولم يكن السبب حاجتها إلى وقت للتفكير بل انشغال فكرها بأمر معاكس.. فهي تعرف تماماً متى استخدمت هذه الكاميرا بالذات للمرة الأخيرة. كما تعرف بالضبط لماذا فضلت أن تخفيها عن الأنظار قبل انتهاء الفيلم.

قالت بحذر: «إنها الكاميرا التي أخذتها معي إلى شهر العسل».

ـ لكن هذا يعود إلى ثلاثة أشهر! ألا ترغبين في رؤية الصور التي التقطها في ذلك الحين؟

ـ أنا.. نسيتها.. شغلتني أشياء كثيرة.

ـ لكنه.. شهر عسلك يا حبيبتي! لا شك أنكما ترغبان، أنت وكير، في استعادة ذكريات تلك الأيام!

لكنها لم تكن تريد ذلك البتة.. لأنها لا تزال عاجزة عن التفكير في الأيام التي أمضتها معه في إيطاليا، من دون أن يطغى عليها التوتر.. حتى بعد مضي ثلاثة أشهر، لا تزال غير مستعدة لاستعادة ذلك الوقت حتى ولو بالصور.

أحست أنها خسرت شيئاً من ذاتها خلال سفرها. أم تراها اكتشفت حقائق عن نفسها لم تكن تعرف بوجوده؟ إنها لا تعرف، ولا تستطيع أن تبدأ بالتفكير الآن. كل ما تعرفه هو أنها ذهبت إلى إيطاليا كامرأة وعادت إلى الوطن كامرأة أخرى.

أصبحت تلك المرأة مدمنة على كير أليكساندر.

فما من وسيلة أخرى لوصف المشاعر التي يشعلها فيها كير.. لقد أصبح يسري في دمها، في فكرها، في روحها. حين يكون معها.. لا تستطيع أن تبتعد عنه، بل تنجذب إليه باستمرار كما تنجذب الإبرة إلى مغناطيس قوي. يكفي أن تراقب كل تغير على وجهه، وكل حركة يقوم بها.

أما حين لا يكون موجوداً.. كما في هذه الأيام.. فتشتاق إليه بشكل لا يحتمل.. وتشعر بالفراغ التام.. وهذا الإحساس بات ينخر فيها كالشوكة. كانت تشعر كأن جزءاً منها، فراغها أو مناقبها، قد بتر ولم تتعلم بعد كيف تتصرف من دونه.

ولم تحقيقة أنها لا تشعر أنها كاملة يوماً إلا حين تكون معه.

ـ إيشمي!

أجفلت سيّانا بتوتر.. رفعت رأسها وتجاوبت عيناها البراقتان بذعر مع الومبض الذي ومض أمام عينيها.

ـ أمي.. ماذا..؟

ـ لم تبقَ سوى صورة واحدة، فالتقطتها لك. لقد بدوت كأرنب مذعور... لكن، من يهتم! بإمكانك الآن أن تظهري الفيلم، وعندئذ ستتفرج جيداً على صور شهر العسل.

اعترفت سيّانا:

ـ لا وقت لدينا.. علينا أن ننقل أمتعة كثيرة.

www.rewity.com

كانت معاملات الانتقال إلى منزل أبيها قد تمت على أكمل وجه ولم يبق لهما إلا أن ينتقلا إلى منزلهما الجديد مع نهاية الأسبوع القادم.

ـ هل سيستغرق ذلك وقتاً طويلاً؟ لحن نغير مكان سكننا فحسب. ولن نترك البلاد سيانا! وإذا لم يكن لديك وقت، فسأطلب من كير أن يقوم بالمهمة.

ردت سيانا بلهجة جافة:

ـ هذا لو تمكنت من رؤيته.. لا أذكر مرة عاد فيها قبل العاشرة والنصف طيلة هذا الشهر.

مرت عدة ليال لم تسمع فيها محرك سيارته في الخارج. ولا قلقلة مفاتيحه في القفل إلا بعد منتصف الليل.. في هذه الليالي المتأخرة كانت تضطر للذهاب إلى الفراش حتى لا يجدها كير تنتظره أرقة. ولطالما حاولت أن تجبر نفسها على النوم.. لكن بدون جدوى.

وعندما كان يعيبها الإرهاق وحملات التوضيب، كانت تغفو ولكنها سرعان ما كانت تستيقظ ما إن يندس إلى جانبها.. لم يكن بحاجة لأن يلمسها.. يكفي أن يهمهم بهدوء.. يكفي أن تدغدغها رائحته.. لقد مر أربعة عشر يوماً..

قطبت كارولين جبينها باهتمام:

ـ أجل.. يبدو أنه يعمل بجد.. هل من مشكلة؟

ـ أي نوع من المشاكل؟

ترى، هل أدركت كارولين، بعد ثلاثة أشهر من التقرب إليهما، أن ما يجمع بينهما لا يدعى زواج حب؟

ـ أوه.. لا أعني بينكما.. هذا واضح! باستطاعة أي إنسان سليم العقل أن يرى أنكما مسلوبا العقل كلياً، وأنكما لا تستطيعان الابتعاد عن بعضكما بعضاً.

ـ أمي!

ـ لا تتظاهري بالخجل أمامي! قد أكون في أواسط العمر.. لكن عقلي ما زال راجحاً كما كان.. لو كنتما غير متحابين لشعرت بالحزن... لا، لم

أقصدكما بقولي.. بل عنيت عمل كير.. هل كل شيء على ما يرام في الشركة؟

سارعت سيانا تؤكد لها: «لا أعرف شيئاً عن عمله».

بالفعل، كانت معلوماتها لا تتجاوز ما تعرفه أمها. الفرة الوحيدة التي حدثها كير فعلاً عن شركته، كانت في الأيام التي سبقت الزواج. وهي لم تفكر في عرض الزواج عليه إلا حين أخبرها عن لوسيل وعن مفاوضاته العدائية معها.

لكن الموضوع لم يثر مرة أخرى، بعد أن تمت مراسم الزواج، ووقعت سيانا على الوثائق التي أبرزها ليلة حفل الاستقبال. منذ ذلك الحين بات نجاح مؤسسة أليكساندر أو فشلها كتاباً مغلقاً بالنسبة لها.

ـ تعرفين كير.. إنه مدمن أصيل على العمل.. هذا هو زوجي.

ـ حسناً.. دعيه يأخذ الأمور بروية.. يدهشني ألا تحتجي على إهماله لك.. لا يعقل أن يكب الزوج على العمل في الأشهر الأولى على زواجه.

نظرت كارولين إلى ابنتها بحاجبين مرتفعين، ثم أردفت:

ـ على أية حال، لا أظنك تريدين أن يأتي إليك متعباً بعد ساعات العمل الشاقة.. أليس كذلك؟

ـ أمي.. كفى!

ـ أوه.. لا تنظري إلي هكذا يا سيانا! ما زلت أذكر شعوري حين وقعت في الحب رأساً على عقب.. مع أني لم أنجح في الحب كما نجحت أنت وكير.. وهذا يذكرني..

مدت يدها إلى الكاميرا المجددا، وفتحتها لتخرج الفيلم منها.

ـ أحرق شوقاً لأرى صوركما في سيانا..

ترقرقت الدموع في العينين الزرقاوين وأدركت كم يعني الأمر لوالدتها.

ـ لذا عديني أن ترسليه للتظهير بأسرع ما يمكن.

وهل تملك خياراً آخر؟ كيف لها أن ترفض طلب أمها؟

تنهدت: «سأفعل بالتأكيد.. سأهتم به في صباح الغد».

www.rewity.com

ـ أخبري زوجك أن يريح نفسه قليلاً . . أنا واثقة أنه غير مضطر إلى إنفاق كل وقته في المكتب.

ما إن دخل كير إلى غرفة النوم تلك الليلة حتى رمت سيانا الكلمات في وجهه.

ـ أمي قلقة عليك.

لقد تأخر هذه الليلة أكثر مما تأخر في جميع الليالي السابقة . . فماذا يفعل كير حتى منتصف الليل كل ليلة؟

«أمي قلقة عليك!» تعرف زوجته هذه تماماً كيف تغرز السكين من دون أن تتسبب بالجرم المشهود! أمها! هل تعرف كم يتكبد من العناء حتى يعود إلى البيت في هذه الساعة المتأخرة ليستلقي إلى جانب زوجته الرقيقة؟ إن سيانا هذه لا تهتم به أبداً.

ـ وهل توافقينها الرأي؟

ألقى عليها نظرة باعثة للاضطراب وكأنه يتفحصها بتبيم. فتململت سيانا بقلق تحت الغطاء الناعم.

تذكرت بألم أنها لا ترتدي سوى ثوب نوم حريري كالنهار لوناً، أما كير فما زال في بذلة عمل وعادية قاتلة، لكنه سرعان ما راح يفك ربطة عنقه الحريرية.

ـ كثيراً ما تسهر في الخارج هذه الأيام.

ـ أنا رجل تاضج سيانا . . ولقد توقفت عن طلب الإذن للخروج منذ بلغت التاسعة عشرة.

ـ أعرف هذا . . لكن أيتعذر عليك أن تعلمني أنك ستتأخر؟

ـ لماذا يا حبيبتي . . ؟ هل اشتقت إلي؟

ـ بالطبع لا!

وسرعان ما وبخت سيانا نفسها . . كان ردها سريعاً حقوداً. لكنها أضافت من دون تأخير:

ـ أعرف أنك قادر على العناية بنفسك.

ـ إذن ما المشكلة؟

أخذ يشد ربطة عنقه مجدداً، بحركة ملؤها نفاد الصبر . . حين فكها أخيراً رماها من دون تحيز في الهواء كرسي ما، متجاهلاً أين عساها حطت.

ـ أنا . . إنها . . نحن خائفتان عليك من الإرهاق.

أحست بسخافتها وهي تنفوه بهذه الكلمات. فهي نادراً ما رأته متعباً. هذا إذا لم نقل أبداً. فما بالك بالإرهاق؟ إنه من الرجال الذين يملكون مناعل للنباط لا تنضب. زد على أن كير رجل قادر على تسيير نفسه تماماً . . . وحين يقع الضعفاء في مسيرة الحياة يتابع هو طريقه . . من غير استعجال ولا تباطؤ، وبقي دائم السيطرة على نفسه.

ـ يا للتفكير كما السليم!

لكن لهجته أوحت بالعكس تماماً.

أخذ يخلع سترته . كان لهذا له مصير ربطة العنق نفسه لكن بنجاح أكثر. وما إن حطت على الكرسي حتى خلع حذاءه، من دون أن يهتم بفك شراطه. ثم تحرك أخيراً ليستلقي في الفراش.

ـ إذن ما المشكلة يا حبيبتي . . ألا تكتفين بحنوك؟

أجابته بصوت رفيع ساخط:

ـ لا . . ! أعني . . أنا . .

راقب تجمع أفكارها المشتتة . لكن كان من الصعب عليها، إن لم نقل مستحيلاً، أن تركز على كلامها . . فكير قربها وبمجرد وجوده قربها يضيع لبها.

ما لبث أن رماها بنظرة ناعسة، فلمحت لمعان الإثارة في عينيه . . أدركت أنه يعرف تماما ماذا يفعل . . وأنه يلعب على هدفه متعمداً أن يحدث هذا التأثير فيها.

ثم همس لها مداعباً:

ـ هل أنت واثقة؟ لا أريد لعروسي الغالية أن تشعر بعدم الاكتفاء . . لو كنت مقصراً في واجباتي الزوجية . . .

www.rewity.com

انفجرت صاخطة: «أوه.. إلى الجحيم بواجباتك الزوجية.. أيجب أن ترد كل شيء إلى هذا المستوى؟»

تجمعت عيناه بنظرات جريحة مصطنعة. حرّكت سيانا على أسنانها وهي تتأمل هذا التعبير على وجهه الوسيم.

- وهل ذكرت هذا يا حبيبتي؟ أنا لا أصدق أن الكلمة خرجت من شفتي.. لكن إذا كان هذا كل ما في الأمر..

هنا، تحركت سيانا إلى الجانب الآخر من السرير، لتتفادى القبلة التي خطط لها.

- تعرف جيداً أنني لا أعني شيئاً من هذا القبيل!

لكنها تعرف بالأحرى ماذا سيحدث لو تركته يلمسها. قبلة واحدة ستشعل ناراً.. وتعصف الإثارة البدائية برأسها بحيث تصبح غير قادرة على التفكير..

- على كل حال، لست أنا من يملك عقلاً يتشرب كل شيء.

رفع أحد حاجبيه في دلالة على تعجّبه. وحين ظهرت ابتسامة ماكرة على أطراف فمه، سارعت تكمل: «ما أعنيه هو..».

وسكتت فجأة..

قال كير بنعومة:

- «ما عنيته هو..».

وابتلعت ريقها بقسوة.. ثم قاومت لتتجاهل ضحكته الشريرة.

- ما عنيته.. هل عملك على مايرام؟ هل تعاني من مشكلة في الشركة؟

لو أنها رمت ماءً بارداً في وجهه، لما استطاعت أن تعكر مزاجه أكثر مما فعلت الآن. وجمد وجه كير.. وقست قسماته المنحوتة في رفض متصلب.. ثم لمعت عيناه وكأنهما قطعتا ثلج سوداء.

قال بحدة باردة: «هذا شأني!».

سرعان ما غادره الاسترخاء فجلس على السرير بتصلب.. كانت كل عضلات جسمه تنطق بقوة رفضه لها:

- إنه شأني.. وشأن وحدي.

أجفلتها شراسته. أوتكون أمها على حق؟ هل يمضي كير ساعات طويلة في الشركة، لأنها لا تزال تعاني من صعوبات مالية؟ إنها تعرف كم تعني الشركة لكير.. إنها صلته الوحيدة بوالده الراحل.. وهو لن يتحمل أن يخذلهما أبداً.

قالت محتجة:

- لكنها ليست شأنك وحدك.

رمت عنها غطاء السرير ثم تدثرت بروبها الحريري، وشدت الحزام حول خصرها النحيل.

قد يكون هذا الثوب الفضي الحزام مناسباً لليلة حب، لكنه ليس ملائماً أبداً لمديرة عمل جدي.

- أنا مرتبطة بالشركة كذلك.

وهل يمكنه أن ينسى هذا أبداً؟ لقد تمسك بالعرش الذي قدمته طيلة كل هذه الأشهر التي مرّت، وباندفاع متهور رأى فيه الخلاص الوحيد من موقف هادع.. كان الأمر خياراً بين أمرين إما أليكساندر أو سيانا.. المرأة أو الشركة.. هذا هو الخيار الذي يواجهه اليوم.

لو صب كل تركيزه على الشركة، لأهمل المرأة التي صرعته منذ رآها.. كل شيء فيها كان ينبئه أنه لو فعل هذا، لخسرها إلى الأبد. لكن لو انجرّ وراء عواطفه لضربت لوسيل ضربتها وخسر كل شيء.

ثم جاءته سيانا بالاقتراح المثالي كحلّ لكل مشاكله. وبهذا الحل سيتمكن من إنقاذ مؤسسة أليكساندر وسيجرب حظه أيضاً مع سيانا. السنة التي اقترحتها بدت وكأنها لن تنتهي... بدت أكثر من كافية حتى تأنس إليه وتقع في حبه، فيتلاقى زواجهما المؤقت إلى علاقة دائمة.

حسن جداً.. لقد حل مشاكل العمل كلها.. بل أكثر من هذا. بعد ثلاثة أشهر من الجهد المركز، عادت مؤسسة أليكساندر سليمة معافاة، وتسير على الطريق الصحيح.. بل يحتمل أن تنال نجاحاً أكبر مما مضى.

www.rewity.com

أما الأشهر الثلاثة التي تفاهما مع سيانا فيدث دونما تأثير إطلاقاً، لأنه لم يستطع اكتساب قلبها. . أما من الجانب المادي من علاقتهما فقد وصلا إلى أقصى ما يمكن أن يحلم به. . وبالرغم من حلمه لكنه مجرد «علاقة» جسدية. . باختصار، لا يبدو أن سيانا مهتم به أبداً.

وها هو برهان آخر ترميه الآن في وجهه. لقد حولت الغرفة على الفور من حجرة نوم إلى مكتب مجلس إدارة لمجرد شكها بوجود مشكلة مالية. هل العموم، يحمد الله لأنها ارتدت روبها. فالآن يمكنه التفكير بشكل سوي من دون أن يلهيه منظر بشرتها العاجية.

رن صوته بخيبة أمل لاذعة.

- ماذا بك. . سيانا؟ أقلقة على مورد استثمارك؟ أم تخافين أن أفلس فتجدي أنك متزوجة برجل لا يملك أموالاً طائلة؟ رجل يمكن أن تسميه فقيراً؟

- وهل هذا ممكن؟

كيف يمكن ألا تلاحظ الصعوبات التي يمر بها كير؟ كيف تكون عمياء لهذه الدرجة؟

لكنها لاحظت شيئاً ما بالتأكيد. . فهي تعي جيداً طول غيابه عن البيت. لكنها لم تدرك السبب. بل عزت انشغاله إلى رغبته في البعد عنها. . كيف تكون غبية. . أنانية إلى هذا الحد؟

- كير. . هل تمر بأزمة مالية خانقة حقاً؟

رد ساخراً: «هذا وقف على ما تبحثين عنه».

عاد يتمدد بتكاسل ثم شبك يديه خلف رأسه، وأغمض عينيه. فأطبقت رموشه الكثيفة على جفنيه فمنحته منظراً قاتماً مثيراً. فاعتصر قلبها وبعث فيها الاضطراب.

قال لها: «لو أردت أن تكوني متزوجة برجل يملك مالاً كأموال أبيك كثيرة، فابقي معي، قد يصيبك الحظ. لكن، إذا كنت تبحثين عن طريقة للتهرب من اتفاقنا، إذن. . لا اتفاق. . أيتها السيدة!».

- كير. . لا تكن سخيفاً!

فإذا بها تشعر بمزيج من الراحة والقلق لم تدر لهما سبباً. . هل يعني هذا أن الأمور على ما يرام في الشركة؟ أم العكس؟ ما من وسيلة لتعرف هذا، فكير لن يساعدها أبداً.

- لماذا قد أتهرب من الاتفاق بحق الله؟ ما زلت بحاجة إلى تعاونك. . ألا تذكر؟ أعطاني عمي فرانسيس جزءاً من ميراثي. . وسأستلم الباقي بعد سنة من زواجي. لهذا، يجب أن تبقى زوجتي، حتى ذلك التاريخ.

سخر كير من نفسه: حسن جداً. . هذا يفسر لك كل شيء أليكساندر. . أيها الغبي! ما كان بالإمكان أن تكون أكثر وضوحاً حتى ولو حاولت ذلك. والمضحك المبكي أنه للحظة، مجرد لحظة مجنونة، فكر أن يخبرها الحقيقة. . فماذا دهاه؟ هل ينوي أن يستلقي على الأرض ويتركها تدوسه بقدميها النحيلتين؟

- لا؟

لكن سيانا التقطت هزة الكلمة التي أفلتت منه وفسرتها بطريقة مختلفة.

- ماذا تعني بلا. . كير؟ أتقول إنك لا تنوي البقاء حتى نهاية العقد؟

أحست وكأن معدتها تؤدي حركات بهلوانية في داخلها. . ماذا تفعل من دونه؟ وبدا لها المستقبل فجأة مظلماً لا يطاق، تسير فيه وحدها.

- هل تريد إيقاف الخطة كير. . أهذا ما تريده؟ هل. . . ؟

فجأة لمعت الحقيقة في عينيها بشكل مثير للأعصاب. وكأنها نقطة لامعة ولدت في زاوية خفية من زوايا رأسها، فأثارت لها أسراراً كانت تفضل أن تبقى مخبأة.

- هل وجدت غيري؟ هل. . ؟

للحظة، اتجهت نظرة كير بعيداً عنها فزادت من قلقها ألف مرة. . أخذ يتململ. . وكأنه يخفي عنها شيئاً.

- أهذا ما حدث. . ؟ هل وقعت في حب امرأة أخرى؟

- لا تكوني غبية! لقد أعطيتك كلمة وأنوي أن ألتزم بها. . مهما كان

www.rewing.com

الأمر!

ـ أوه.. شكراً لله!

تنفست الصعداء حتى كادت تهاوى على حافة السرير، لكنها أحجمت في اللحظة حين تحولت إلى الكرسي الصغير أمام طاولة الزينة.

ردد كير بسخرية سوداء:

ـ أجل.. حمداً لله! أوه.. لا تقلقي يا حلوتي، فميراثك آمن معي تماماً! لقد دفعت ثمنه سنة من حياتي، ولسوف تحصلين عليه، حتى الفلس الأخير.

فجأة، زاد توتره. لم يستطع أن يبقى من دون حركة.. فوقف، وسار إلى حيث تجلس. كانت تضم جسدها بذراعيها النحيلتين بشدة وكانت نظرة القلق واضحة في عينيها البراقتين اللتين كانتا تراقبان دنوه منها.

إنها لا تثق به.. هذه هي المشكلة الحقيقية. فمن يدري؟ قد يأخذ المال ويهرب، ليتركها في ضياع مرة أخرى، وحيدة، مع أم مريضة تعتني بها. فمن قبله، أقدم ذلك الجرذ دين هانسون على الكثير!

يحمد كير الله لأنه لا يستطيع الوصول إلى ذاك الحقير دين لأن نفسه ستغريه بالقيام بما هو غبي ولن يكون ذلك بأقل مما يستحق ذلك الخسيس الكريه!

ـ هذا كل ما أريده!

كان صوتها بعيداً، كتعابير وجهها. لكنه لن يعرف كم جاهدت ليظهر هكذا. تابع كير تقدمه إليها فيما بدت في عينيه نظرات إجرامية.. حاولت أن تحافظ على رباطة جأشها، في وقت صاحت بها كل ذرة من ذرات كيانها اهبطي عن الكرسي الصغير واهربي.. وتعني المسافة بينكما وبأسرع ما يمكن.

قال: «على الأقل كلانا يعرف موقعه».

ـ أجل.. هذا صحيح.

رسم بفمه المعبّر شبه ابتسامة، ليس فيها أي شيء من المرح:

ـ لكن دعني أوضح لك نقطتين نهائيتين.. أو بالأحرى، أصحح مفاهيم يبدو أنك لم تفهميها جيداً عند اتفاقنا الأصلي.

كادت يده تلامس وجهها، لكن صوته جاء جد بارداً وهو يحدد كل نقطة على إصبعه:

ـ أولاً.. لقد دفعت لي مالاً لأتزوجك.. سأتصرف بذلك المال كما يحلو لي.. وأذكرك أنك استثمرت مالاً على حسابي أنا لا على حساب الشركة.. ثانياً.. لا علاقة لك بشركتي، لا الآن ولا أبداً.. فأنا أدير شؤوني كما أراها مناسبة.. لن أجيب عن أي سؤال يتعلق بها.. ثالثاً.. لقد وافقت أن أكون زوجاً.. لا «كلباً» مدللاً.. وسأتصرف كزوج علناً، وأكون إلى جانبك حين تحتاجين إلي. لكن هذا كل شيء. أنا لست رهن أوامرك.. لذا أنا آجيء وأذهب كما يحلو لي. أفعل ما أريد متى أردت.. فهل هذا مفهوم؟

ـ تماماً.

ارتاحت سيانا لأنها أحسنت السيطرة على نفسها وكان صوتها يماثل صوته برودة تماماً.

ـ وإذا كنت تحترمين على شرط ما، أقترح أن نحل الشراكة الآن، وهنا.

ـ لا داعي لهذا! عرضك هو ما أريده منك تماماً. لا شيء أكثر، ولا أقل.

ـ إذن، على الأقل، متفاهمان.

سوّى كير كتلتي العريضتين لثم دس يديه في شعره الأسود. فتدلت خصلة على جبينه، ونظرت إليه سيانا فألفته يغيظ بالجاذبية والروعة. وقبل أن تفكر بالنتائج المحتملة لتصرفاتها، مدت يدها وأعادت الخصلة بنعومة إلى مكانها.

ـ سيانا...

أتيأتها رنة صوته في الحال أن مزاجه تغير في لحظة.. تحولت حدته إلى همس أجش ومثير، همس لفّ جوارحها كالدخان وتغلغل إلى أعماق كيانها..

فجأة تشابكت العينان البنيتان بالعينين المائيتين.. سحرها نظرته فجمدت من دون حراك.

ـ حين دخلت إلى الغرفة كنت تحترقين غيظاً.. وتساءلت لماذا أنت بهذا المزاج.

ردت بصعوبة: «أنا.. قلت لك السبب. أمي..».

www.rewity.com

رفع يده بتكبر، وكأنه يؤكد أن لا علاقة لكارولين بالموضوع.

ـ صححي كلامي إذا كنت مخطئاً. لكنك كنت تشعرين بالإهمال «أنت تتأخر كثيراً..».

رفت عيناها بشدة وهو يقلد صوتها بلهجة تثير الأعصاب.. وازداد إحساسها عمقاً حين رأت ابتسامته، واتساع عينيه الجميلتين.

ـ إذا كان الأمر على هذه الحال.. يا حبيبتي.. ما عليك سوى أن تقولي.. حتى تحصلي على ما تريدين...

امتدت يد لطيفة تحت ذقنها، ورفعت وجهها بحنو ثم امتدت كف قاسية دافئة إلى خدها.. أرادت أن تلقي فمها على راحة يده. لكنها مغامرة خطيرة! وما إن أوشكت على الاستسلام حتى راودتها فكرة غريبة غيرت مزاجها تماماً.

ـ سأكون سعيداً جداً لو وضعت الأمور في نصابها. فعلى أي حال أنا زوجك..

ـ أنت زوجي كما هو محدد في الشروط الضيقة لعقد العمل، وكما تصرفت منذ لحظات!

رفضت أن تسمع صراخ قلبها واحتجاجه لأنها قفزت مبتعدة عنه عدة أمتار حتى تكون في مسافة آمنة.

ـ هذا ليس زواجاً حقيقياً، وكلانا يعرف هذا!

أجابها برباطة جأش: «عندي وثائق تثبت العكس».

ـ لكن الزواج يعني الكثير الكثير عدا مجرد قطعة ورق! في الزواج مشاعر هامة. مشاعر تحدد الفارق بين اتحاد يدوم، واتحاد انتهت صلاحيته!

فكر كير باكتئاب: لا تخبرني عن هذا. فبعض هذه المشاعر الهامة كانت تقض مضجعه ليلاً ونهاراً، تأكل قلبه كالأسيد.. وكان ترياقه الأخير العمل.. لذا أنفق كل ساعات نهاره في المكتب بعمل بجد وتعب.

قال من دون تفكير: «تعالي إلى هنا سيانا» وأشار إلى السرير.

برقت عيناه حين رأى الرفض العاصف في عينيها.

تعالي إلى هنا! لم تستطع أن تصدق مدى عجرفة هذا الرجل.. لقد أوضح لها من دون لبس أنها لا تعني له شيئاً سوى صفقة وضيعة.. ويمكنه الآن أن يصفق بيديه لتهرع إليه دون تفكير. لكن احترامها لنفسها أكبر بكثير مع أن جسمها كان يحنو نحوها ولكن ذلك لم يمنعها من التمرد.

قالت بتكبر، وهي تزيد من ازدرائها:

ـ لن تغير الواجبات الزوجية شيئاً! حتى الزوجة العادية تستطيع أن تقول لا.

لامست ابتسامة خفيفة شفتيها وهي ترى رأسه المتفاخر يرتد إلى الوراء بدهشة.

ـ أجل كير.. أنا أقول لك لا.. أهذه أول مرة؟ هل أنا المرأة الوحيدة التي قاومت فتنتك المنتصرة دوماً؟

أنت الوحيدة التي تهمني.. لكنه ملعون لو أخبرها هذا.

ابتسم: «هذا من حقك يا حبيبتي. لكن إذا غيرت رأيك تعالي وفتشي عني».

كان في طريقه إلى الباب حين دفعها إلى السؤال:

ـ أجيء؟ و.. لكن إلى أين تذهب؟

ـ سأنام في الغرفة الأخرى يا حبيبتي. ليكون كلانا أكثر راحة.

لم تستطع سيانا أن تتكلم، ولا أن تفكر، بل وقفت تحدق بالباب ينغلق خلفه.. فاجأها هذا الكرب المتسارع الذي غمرها عندما سمعت وقع قدميه الغاضبتين يبتعد بسرعة عبر الممر.

لقد عنت كل كلمة قالتها.. فلماذا إذاً شعرت بالخسارة، بالحرمان، بالعزلة، حين هجرها؟ في لحظة ما من لحظات هذه الليلة، تغيرت علاقتهما بشكل يثير الاضطراب. وها هي الآن مصدومة، مذهولة إزاء ردة فعلها.

لطالما عرفت أن كير لم يتزوجها إلا لأجل المال الذي عرضته عليه.. وعرفت أن الدور الذي لعبه كان خالياً من المشاعر.. إنه زوج بالاسم فقط، ولن يكون شيئاً غير هذا. على أي حال هذا ما أرادته منه.. فلماذا يتعارض ذلك فجأة مع مشاعرها؟ لماذا تؤلمها لامبالاته وعدم اكتراثه بهذا الشكل؟

* * *

٩ ـ الحقيقة تظهر وتموت

لم تنل سيانا رداً على تساؤلاتها إلاّ بعد انقضاء ست وثلاثين ساعة.

لو أنها صادقة مع نفسها، لاعترفت أنها كانت تدرك الحقيقة منذ البداية.. لكنها لم تستطع أن تقرّ بذلك، حتى لنفسها. ستخلق هذه الحقيقة الكثير من المشاكل ثم تعقد الأمور بطريقة مستحيلة... ولن تقوى حينها على التفكير بنتائج مستقبلها.

لكنها، ما إن شاهدت الصورة حتى عرفت كل شيء نهائياً وبالكامل.. ودون أي أمل في الخلاص.

همست بضعف وهي تقاوم الدموع:

ـ أوه.. لا! كيف يمكن لهذا أن يحدث؟ ماذا سأفعل الآن بحق الله؟

لم تتمكن من التملص من تظهير النيلم لا سيما بعد إصرار أمها.. التي أضافت:

ـ وتأكدي أن تطلعي إنهائها في أربع وعشرين ساعة! لقد انتظرت أكثر من ثلاثة أشهر لأرى هذه الصور، ولا أنوي أن أتأخر أكثر!

كما ذكرت ابنتها في هذا الصباح أن تأتي بالصور في أسرع وقت ممكن.

لم تعرف سيانا أية غريزة دفعتها إلى فتح مغلف الصور ما إن وصلت إلى سيارتها.. لو سئلت لقالت إن آخر ما تريده الآن هو أن تراها.. لا سيما بعد الجدال الذي حصل بينها وبين كير.. ما زالت أفكارها مشوشة، ومزاجها يتأرجح بعنف من فكرة إلى أخرى. كان حزن أمها هو آخر ما تحتاج إليه الآن.

ليلة أمس، عاد كير متأخراً أكثر من العادة.. حتى إنها لم تعرف متى عاد بالضبط.. انتظرت وانتظرت حتى تملكها الإرهاق. في النهاية خلدت مرغمة إلى النوم. والواقع أنها لم تستدل على عودته إلا حين رأت أثر رأسه على الوسادة إلى جانبها. ثم اكتشفت الثياب التي خلعها في سلة الغسيل.

حين انتشلت سيانا نفسها من السرير، كان كير قد رحل. لم تتح لها فرصة رؤيته، كما إنها لم تكلمه منذ خروج من الغرفة في الليلة السابقة.

سيطرت عليها فكرة بلهاء: إنها تحتاج إلى رؤية وجهه، ولو في صورة لا أبعاد لها.. لهذا هرعت إلى المغلف، مدفوعة بهذا الشعور القوي.

نظرت إلى الصورة الأولى.. التي وجدت فيها كلاماً صامتاً اقتحم قلبها رأساً كسهم يخترق هدفه الذهبي.

تذكرت المشهد جيداً. كان ذلك بعد ظهر يوم زيارتهما إلى فلورانسا. مرا عبر شوارع ضيقة مستقيمة من «بيازا وبلا ريبلكا» إلى «بير كاتو نوفو» يومها، تمتم كير:

ـ لا يمكن أن تغادري فلورانسا من دون رؤية «إلى بروسلينو».

ـ إلى بوروسلينو؟ وما هذا؟

حين واجهت التمثال البرونزي الكبير هتفت بدهشة مذهولة:

ـ إنه تمثال خنزير بري كبير!

أخذت تتفرس في الجسم القوي وفي الناب الشرسين على جانبي فمه. بدا طرف أنفه أكثر لمعاناً من بقية جسمه، أما نعومته ولمعانه فأتت دون شك من اللمس المتكرر..

قال كير ضاحكاً:

ـ عليك أن تنسي أنفه.. هيا.

لم تستطع مقاومة الابتسامة، فتفحصت كلاهما ونظراتها لا تفارقه.

ـ هل لك أن تخبرني عن سبب هذا؟ أله ميزة خاصة؟

هز كير رأسه وادّاً:

ـ من المفترض أن يجلب الحظ السعيد.. وكل أولئك الناس يقدمون على

www.rewity.com

هذا، على وجه الخصوص، حتى يعيدهم القدر مرة أخرى إلى فلورانسا في المستقبل.

ـ أوه.. حسن جداً.. في هذه الحالة..

أمسكت سيانا الأنف البرونزي مرة أخرى، بحماسة متجددة.

ـ لقد وقعت في حب إيطاليا.. وخاصة توسكانا. وأحب أن أعود مجدداً إلى هذه المدينة الجميلة في أي وقت يأمر به القدر.

توقف قلبها للحظة وانحبست أنفاسها فجأة، وفيما كانت تقول جملتها وجدت أن عينيها لم تعودا قادرتين على مفارقة كير الذي كان يقف بطوله الفارع إلى جانبها.. ولكن ما جعلها ترتجف هو ما رأته في عينيه.. فالابتسامة البادية على عينيه كانت ابتسامة مغتصبة غير حقيقية أما عيناه السوداوان فظل يغلفهما الضباب ولم يبدُ فيهما أثر للدفء.

في يوم ما سيعيدك القدر إلى فلورانسا. أجل.. لكن متى، ومع من؟ فبعد اثني عشر شهراً، سيكون الطلاق نصيبهما، وعندئذٍ لن يريا بعضهما ثانية.

ارتجفت سيانا مجدداً.. وتسلل إليها إحساس بارد، أخذ يزحف إلى ظهرها.. ولم تستطع أن تتصور أبداً أنها قد تعود يوماً إلى هنا دون كير. فوجوده جزء لا يتجزأ من حبها للمكان. وهي لا تستطيع التفكير بتوسكانا من دونه.

ـ كير!

مدت يدها بتهور لتمسك بيده.. فتبعها إلى الأمام. وأكملت:

ـ إنه دورك.. يجب أن تلمس أنف التمثال «البورسيلينو»!

بدا للحظة أنه سيقاوم، وأنه سيلازم مكانه. أحست بقلقها يتزايد، حتى يقارب الذعر، وأخذ قلبها يخفق بجنون.

لكنها حاولت مجدداً:

ـ كير! ألا تريد العودة إلى فلورانسا؟ لا أستطيع أن أصدق هذا!

أخيراً، تحرك قليلاً.. ثم خطا إلى الأمام ليريح على أنف التمثال قائلاً:

ـ مع السلامة يا «بورسيلينو».

تكهنت سيانا ما يدور في خلده ما إن لامست تلك البرودة في تصرفاته.

إنه لا يهتم إن عاد إلى فلورانسا أم لا... والحقيقة أنه لا يكترث أبداً لهذا الواقع، أو بالأحرى، لم يكن يهتم لو أنه لن يعود أبداً.. معها.

اليوم، وبعد كل تلك الأشهر، تواجه سيانا الدليل.. عرفت أنها لا يمكن أن تنسى.. في حجرها، نبضت أنامل لا عصب فيها. أنلت صورة أخرى منها.. صورتها في «ميرفانتو توفو» حيث يدها لا تزال على أنف التمثال البرونزي.

تذكرت متى التقطت هذه الصورة بالضبط. كانت تتصارع مع الأفكار القلقة التي أثارها كير فيها.. فقد تراجع بكل برودة وأمرها بكل بساطة «ابتسمي!» ثم التقط صورتها قبل أن تستطيع الاحتجاج.

لكنه التقط في الصورة ما هو أعمق بكثير. تنهدت سيانا.. ثم نظرت إلى صورة وجهها.. لقد التقط أيضاً نظرة القلق، والارتباك وتشابك الأفكار.. ارتباك لم تستطع ابتسامتها أن تخفيه.. وتبع خلف الادعاء بالسعادة إحساس قاتم، إحساس لم تكن لتكتشفه لو أنها رأته قبل اليوم.

لكنها باتت تعرفه الآن.. تعرفت إلى ظلال الألم الذي أحست به حين خرج كير من غرفتها ليبات في مكان آخر.. رافق هذا إحساس آخر بالخسارة، بالدمار. هذه صورة امرأة غارقة في الحب حتى أذنيها، من غير أن تدري. لكن لا يمكن التغاضي عن الشوق الذي بدا في عينيها ولا إخفاء الألم المحفور على وجهها.

ـ أوه.. لا!

أطبقت يدها على الصورة تسحقها.. متى حصل لها هذا؟ وكيف حصل؟ كيف يمكن أن تقع في حب كير بينما هي مقتنعة تمام الاقتناع أنها تحب دين؟ والآن، بطريقة أو بأخرى، أضحى شعورها نحو دين غريباً، لا أساس له، بعيد بعد السنوات الضوئية عما تشعر به نحو كير.

إذن، ما الذي أحدث هذا الفرق؟ أدارت سيانا محرك السيارة ثم خرجت

www.rewity.com

بها من الموقف، وهي مشتتة التفكير. كانت أفكارها تحوم وهي تسعى للهروب من الذكريات المتضاربة والمشاعر التي ضجت في قلبها. لم يعد بوسعها أن تنظر إلى هذه الذكريات بتجرد بل بطريقة لم تساورها من قبل.

«صدقني.. لو قدر لي أن أحصل على ما أريد حقاً.. لو كنت أنت الرجل الذي دست في إصبعه خاتم الزواج! إنها الكلمات التي تلفظت بها في ساعة غضب يوم زفافها. وها هي اليوم تعود لتلاحقها.

«أما لو أردت تحقيق حلم، لتزوجت...».

لتزوجت دين.. هذا ما كانت تعنيه... ظنت نفسها تحب دين.. لكن ثورته وخياناته المتكررة، قد حطما قلبها.. فكيف يمكن لمشاعرها أن تتحول من رجل إلى آخر لا تكاد تفرق بينهما بضع خفقات قلب!

هذا لأنها لم تحب دين يوماً! أصابتها الحقيقة في الصميم وكأنها لطمة تلقتها على رأسها.. أوقفت السيارة فجأة عند إشارة المرور، فإذا بزمور سائحط بأنيها من السائق خلفها. لكنها تحركت بسرعة، وهي تقود السيارة بشكل آلي... أخيراً تلاشى الوهم الأليم وسطعت عليها الحقيقة كاملة.

لقد اعتبرها دين جائزة سيكسبها لا محالة. وكان دائم اللطف والمرح.. وكثيراً ما راعى مشاعرها.. يا له من لعين! لم يبد عليه للملل، أو الغضب يوماً، بل كان دائماً مهذباً، ومتوافقاً معها. لكنه لطالما كذب عليها وتلاعب بقلبها..

من ناحية أخرى، لم يحاول كير أن يكون مهذباً.. بل تصرف دوماً على طبيعته سواء صفا مزاجه أم تعكر.. أما هي فلم تحتج منه يوماً إلى اللطف واللطف كما لم تكترث بطبعه الحاد. لقد أحبت أن تكون معه مهما تعكر مزاجه، حتى وهو بارد أو قاس. ولطالما اشتاقت إليه في غيابه.

لم يكن كير بحاجة إلى جرّها إلى التلاعب بقلبها ولو لا تعلقها بذكريات دين لاستجاب له قلبها منذ البداية.. كم خجلت وارتبكت، إزاء حرارة المشاعر التي أشعلها فيها كير. وهي عكس المشاعر التي كانت تشعر بها تجاه دين..

إذاً، لقد وقعت في حب كير منذ البداية. لكنها كانت عمياء، مخدوعة، ولم تر بوضوح.. لم تعرف تماماً متى حدث هذا.. لكن، في مكان ما من المسيرة، زلت قدمها.. ووقعت في حب زوجها المؤقت.. وكما وجدت أمها حب حياتها في إيطاليا وجدت هي حبها هناك.. وكما حكم على علاقة كارولين بالفشل، فسيكون الفشل مصيرها هي.

لكن، كيف تواجه كير الآن؟ سألت سيانا نفسها هذا السؤال وهي تنعطف إلى الموقف تحت الأرض.. أحست وكأن طبقة كاملة من بشرتها قد انتزعت منها انتزاعاً.. كيف تواجه هذا الرجل الذي أحبته من دون أن تكشف له عن مشاعرها؟

في النهاية، جاءها الحل من كير نفسه بل من عمله.. وما غيره؟

أخبرها كارولين: «لقد اتصل فيما كنت في الخارج. يبدو أن مشكلة وقعت في فرع بلجيكا.. واضطر إلى السفر على الفور. وهو لا يعرف متى سيعود».

لكن تأجيل المواجهة مؤقت.. عرفت سيانا هذا.. ولن يطول الوقت حتى يعود كير، وتضطر إلى متابعة الادعاء بأن زواجهما لم ولن يكون إلا اتفاقية عمل تجارية. ما زالت أمامها تسعة أشهر من السنة التي اتفقا عليها.. فكيف ستعيش طيلة هذه الفترة من دون أن تفضح نفسها؟

عرفت أن الأمر سيكون أصعب مما تحمل.. فطبقة البشرة التي انتزعت عنها لن تنمو مجدداً.. ونتيجة لهذا، فإن أي نظرة من عيني كير السوداوين، أي لمسة أو أرق قبلة، ستصيبها بكدمات مؤلمة.. لن تشعر بالراحة في صحبته.. بل ستضيع بين فكرتين: إما أن تندفع بين ذراعيه، تتوسل إليه ليضمها بشدة، لئلا يتركها أبداً.. وإما أن تبقى بعيدة، تخفي عنه مشاعرها.

شعرت أنها مترددة.. مجمدة دون قرار، ضائعة بين الاحتمالين.

حين رجع كير، بدا وكأنه عاد إلى امرأة مختلفة. أحس بذلك وهو غير مصدق. فهو لم يغب لأكثر من ستة أيام، أقل من أسبوع، مع ذلك، فقد عاد إلى سيانا شاعراً أنها غير الزوجة التي غادرها.

www.rewity.com

كانت العينان الزبرجديتان تراقبان خلف ستار من الرموش الطويلة الكثة. أما الفم الناعم فتشوبه سمة ابتسامة عريضة نادرة براقة، قليت قلبه رأساً على عقب! لقد أحكمت السيطرة على نفسها تماماً.. فكفت عن اللمسات اللطيفة على صدره وذراعيه، ولم تعد أناملها تعبث بظاهر يده، وكأنها تقول له بذلك إنها لا تستطيع الابتعاد عنه وذلك في الواقع ما كان يفقده عقله.

بدا كلامها بدوره أكثر هدوءاً خالياً من عبارات التحدي المثيرة التي طالما أبهجته منذ البداية.. منذ أسبوع، كانت كجواد أصيل متوتر، نفيس مروض.. لا تثق برجل، ولا تعترف بأحد سيداً لها.. لكنها سمحت له وله وحده، أن يلمسها طالما يحرص كل الحرص ألا يجفلها. أما الآن، يبدو أن التفاهم الدقيق الذي توصلا إليه، قد تدمر بضربة واحدة... كانت تنظر إليه بقلق، وتجفل إذا اقترب دونما توقع. ولم يعجبه هذا الوضع إطلاقاً.

بعدئذ، انسحبت «جانا» بلباقة متذرعة بحاجتها إلى النوم الباكر. حين أصبحا وحدهما، كان ألف سؤال وسؤال يجول في رأسه.

سألها وهو يخفي توتره: «ما هذا.. لماذا أنت عابسة؟».

ـ ولماذا أعبس؟

ـ ربما لأنني أركز على عملي أكثر من اللازم! لأنني كنت مسافراً..!

ـ هذا لا يزعجني أبداً.

ـ لقد أزعجك قبل أن أسافر.. قلت إنك كنت قلقة.

ـ قلت إن أمي كانت قلقة.. في الواقع.. كنت مشغولة جداً بعملية الانتقال لذا لم أكد ألاحظ غيابك.

هذا غير صحيح! ويخيها ضميرها بحدة على هذه الكذبة الوقحة. لقد اشتاقت إليه حتى غمرها اليأس كل ثانية غاب فيها عنها.

ارتفع حاجبه الأسود:

ـ هل هذا صحيح؟ حسن جداً.. هذا يغطي أوقات النهار، كما أعتقد. فماذا عن الليالي؟

أحست بهجمة المثيرة تلتف حول أحاسيسها وخواصر كل كيانها.. أخيراً انقضت صحراء الأيام الفارغة التي غرقت فيها أثناء غيابه، يكفي أن يكون إلى جانبها لتحس بالأمان..

لو نظرت إلى عينيه، لما رأت تلك القوة اللينة القاسية التي يزدان بها جسده القوي.. لو تركت نظرها يجول على عرض كتفيه، على صدره القوي، لفاتتها رقة فمه، ونعومة شعره الحريري.. أراوته كله... مع ذلك كانت تخشى أن تفضح نفسها وأن تكشف عن قوة مشاعرها. فاضطرت إلى القيام بآخر ما تتمناه على وجه الأرض، الابتعاد عنه.

ـ الليالي!

أرادت أن تظهر لها أنها غير مبالية وكادت تنجح.. ولكن الليالي كانت هي الأسوأ.. لم تستطع النوم لساعات طويلة. بل بقيت مستلقية أرقة، وقد ضاقت بهذا الفراغ إلى جانبها أيي هي من وقته وسحره؟

وعندما كان يستولي الإرهاق عليها في النهاية كانت تنجرف إلى نوم متململ غير مستقر. في نومها الضحل الخفيف هذا، كانت ترى وجه كير.. وتشعر به يضمها إلى قلبه، ولكن قلبها كان يظل عطشاً إليه. وعندما تستيقظ كانت تشعر بأن الأحلام لا يمكن أن تعوض عن وجوده.

في نهاية الأمر أضافت:

ـ أخيراً حصلت على نوم لائق.

ـ حقاً؟ إذن، من الأفضل أن تبقي مرتاحة.

ـ ماذا يعني هذا؟

أطلق كير تنهيدة تجمع بين الاستسلام والسخط.

ـ وماذا تظنين أنه يعني..؟ ربما، يا لغبائي! لقد أملت ومن أعماق عقلي، أن تكوني مسرورة لعودتي وسعيدة باستقبالي.

إنها كذلك.. آه! فما أسعدها برؤيته.. وكم تود أن ترحب به من أعماق قلبها. لكن الخوف يجمدها.. لا يمكن أن تفضح نفسها.. أن تظهر مشاعرها التي اكتشفتها حديثاً.

www.rewity.com

حبها هو آخر ما يتمناه كبير. لقد وافق على صفقة عمل لا قبود فيها.. ولا عواطف.. إنه زواج لسنة فقط.. حين ينتهي الوقت، سيرغب في الرحيل، وسيصير حراً في طريقه من دون أن يلتفت إلى الخلف.

- إذن، سأضطر إلى العمل بجهد أكبر.. أليس كذلك؟

الطريقة التي دس فيها يده في جيب سترته بعنوية، خدعت سيانا التي لم تشعر بالترقب أو بالريبة.. لكن حينما لمّح بأصابعه أمام عينيها انجفلت وارتبكت، ذلك أنها رأت قطعة المجوهرات التي تدلت منها.

كان السوار الذهبي أجمل حلية رأتها في حياتها. شكلت كل حلقة عملاً فنياً رائعاً. وبرقت في قلبها ماسة براقة كقطرة ندى.

قال: «هدية ميلاد سابقة لأوانها لزوجتي الجميلة».

سحبت سيانا أنفاسها بذهول:

- كبير! أنا عاجزة عن الكلام! ما كان يجب أن تأتي بها!

بل يجب أن يستثمر كل أمواله في عمله حتى تقف شركة أليكستدر مجدداً على قدميها.. لا يمكن أن يضيعه في بهرجة متكلفة مبالغ فيها، لا سيما لأجلها. لكنه وضع السوار في يدها ثم أطبق على أصابعها فوقه. عندئذٍ، لم تستطع أن تكتم الإثارة والبهجة التي حلت عليها. عرفت أنه لم ينسها تماماً أثناء سفره. لقد فكر فيها.. قضى وقتاً طويلاً في اختيار هذه الهدية الجميلة الرائعة.

- أوه.. كبير!

طبعت قبلة على خده باندفاع متهور.

- أنت كريم جداً! لا أدري كيف أشكرك!

- ألا تعرفين؟.. حسن جداً هذا يكفي كبداية.

هبط رأسه المتجرف إليها وبكل ثقة، انتزع منها عناقاً ملهوفاً ولم يلزم الأمر سوى خفقة قلب سريعة حتى ذابت مقاومتها، وأحست يدها ترتعد عاصفاً في شرايينها.. اخترق توسله للهوف لأحاسيسها ما تبقى من دفاعاتها فكان أن ارتجفت من سن من جراء الهجوم الصاعق وأحست أنه يسيطر

عليها وأنها ضعيفة..

تسللت يداها لتطوقا عنقه.. وتغلغلت أناملها المرتجفة في شعره القصير المتموج. كانت حركة بسيطة ومع ذلك فقد أطلقت ردة فعله القوية. هل سبقته آهتها أم أنها لحقت بآهته.. عرفت فقط أنهما تمازجا في صوت واحد من الشوق.

فتمتم بخشونة في أذنها: «إلى فوق!».

وردت هامسة: «إلى فوق».

ولم يحتاجا إلى المزيد من الكلام. صعدا السلم فيما حملها هو بين ذراعيه. قال وهو يضعها على السرير: «لو تعرفين كم اشتقت إليك!».

غمرها السعادة وهي تسمع صوته المتحشرج يهتف لها: «اشتقت إليك!».

همست مرتجفة: «كبير..».

رد بصوت هادئ: «أعرف يا حبيبتي.. أعرف أنها ستة أيام طويلة.. لكنني أنوي التعويض عنها».

- أجل.. أوه.. أجل.

وكانت ذهبية وضي.. لقد باتت مدينة عليه في هذه اللحظات لم تعد تهتم لكلامها:

- كبير!.. كبير يا...

- كبير!.. كبير يا...

فجأة انطلقت كلماتها في الوقت المناسب. كادت تقول له «يا حبي».. كبير يا حبي.. كادت تفضح نفسها فقررت أن تبني قواعد جديدة تضبط بها أما هو فتاوه.

- سيانا.. حبيبتي.. أنت تدفعينني إلى الجنون..

كانت همستها ضاحكة في أذنه.

- أتظن أنني أمانع..؟ ماذا لو أردتك مجنوناً؟

- في هذه الحالة سيدتي...

www.rewity.com

هنا شعرت كم تحب كير، وعرفت أنه امتلك قلبها. غمرها سعادة مضاعفة بدت أكثر مما تتحمل. وأحست بدموع حرقة تنظر من أطراف عينيها، ثم تشق سبيلها إلى خديها.

وفجأة لامست دموعها خده فهتف: «سيانا.. ؟ ماذا.. ؟».

لم تستطع أن تتحمّل نظرته المتفرسة. فحولت رأسها بتلقائية على الوسادة، وحاولت أن تتجنبه.

بعد وقت طويل، استقامت من نوم مرهق، لتجد الغرفة غارقة في ظلام دامس.. وتحركت متململة، فأحست ببرودة الفراش وفراغه إلى جانبها.. ثم تسلل نور البدر بارداً إلى جفنيها نصف المغمضين.

حاولت أن تفتح جفنيها بالكامل.. ثم حدقت إلى النافذة في أبعد جانب من الغرفة. كانت الستائر المخملية الثقيلة قد رفعت فيما كير واقف بروبه الكحلي ليرد عنه برد هذه الليلة من شهر كانون الأول. كان يحدق إلى الظلام في الخارج، ويداه مدسوستان في عمق جيبه. أما كتفاه فمحنيتان وكأنهما تنوءان تحت حمل ثقيل.

ـ كير؟

ارتد رأسه الأسود حين سمع سؤالها وابتسمت له ناعسة، ثم لوحت له بيدها ليعود إلى السرير.

لكنه هز رأسه، وعاد ينظر إلى خارج الزجاج.. ثم قال بهدوء:

ـ عودي إلى النوم سيانا.. سيكون يومك حافلاً في الغد. وتحتاجين إلى الراحة.

منعها تعبها الشديد من العصيان. حاولت أن تحتج.. لكن عينيها كانتا تغمضان دون جهد، فيما موجات النوم الدافئة تغمر كل خلية في جسدها.

قبل أن تغفو، تمتمت له: «غداً..».

ـ أجل غداً.. نامي الآن.

استدارت إلى جانبها ودست وجهها في الوسادة مرة أخرى. فاندفعت خصلة شعرها إلى الأمام لتدغدغ خدها. حين رفعت يدها بكسل لتبعدها

عنها، رأت السوار الذهبي مشيراً إلى معصمها.. لكن.. كيف..؟

وغلبها النوم قبل أن تستطيع التفكير بأي تفسير معقول.

حين سمع كير تنهيدتها الراضية، استدار ليتفحص وجهها النائم تحت نور القمر المرتمي بنعومة على وسادتها.

بطريقة ما، هذا هو لقاء العودة الذي حلم به.. لكنه أيضاً كان لقاءً يخاف منه.. كان كل شيء في لقائهما جنون مطبق لا يصدق.. بدت سيانا وكأنها امرأة أخرى، لا سيانا التي عرفها حتى الآن.

كانت متشوقة، مستجيبة.. كاد يصدق أنها اشتاقت إليه فعلاً بقدر ما اشتاق إليها.. كاد يصدق أنها بعد فراق الستة أيام، تنظر إليه بانتظار مختلف، حتى إنه كاد يتصور أن المستقبل ينتظرهما معاً.

كاد...

لو تأمل ساعة نامت، خارج نفسه تماماً، لقد ترك قلبه يتصور أحاسيس كانت مجرد صرح من خيال. تكورت سيانا عليه، وتراصت على صدره، وهي تتنهد بامتنان. قبقبي صاحباً لتستمتع بوجودها قربه، ليضمها بشدة. وهكذا، رأى كيف استرخت ذراعها حوله، ثم انفرجت قبضتها المشدودة وتفتحت أناملها المضمومة برقة.

وفجأة أفلت من أصابعها معدن ناعم على بشرة صدره الدافئة.. السوار.. ذلك الذي قدمه لها، كانت تمسك به في قبضتها المضمومة طيلة ذلك الوقت.. لقد تسببت مجرد حلية غالية الثمن بتغيير جذري في تصرفاتها.. حولتها من تردد شائك إلى تعاون شديد، في ظرف خفقة قلب واحدة.

حسن جداً.. إذا ترك السوار هكذا، قد يضيع في مكان ما في السرير.. سيكون هذا مؤسفاً خاصة بعد الجهد الذي بذله ليكسبه.. وهكذا، ثبت السوار حول معصمها النحيل، لقراءة ما إن تستفيق.

ثم راح يوبخ نفسه بغضب، وهو يشيح بنظره عن سيانا:

«واجه الحقيقة أيها الغبي!».

ما إن غفت سيانا ثانية حتى عاد إلى التحديق في ضوء القمر الذي يمائل

www.rewity.com

مزاجه بروده .. واجه الواقع لا يزال هذا الزواج من أساسه صفقة تجارية ..
لقد دفع ثمن كل معاملة فيه، وبالعملة الصعبة.

* * *

١٠ - بلا كلمات

تقدم كير نحوها: «عندي هدية لك .. عيد «فالنتين» سعيد».

- لي أنا؟

رفعت سيانا رأسها بحدة عن كتابها ثم نظرت إلى زوجها بحيرة واضحة.

- لكن.. ألا يكفي الورود؟...

كانت الورود أكثر من كافية.. خوخية ذهبية اللون، تشبه باقة الزهور التي تلفتها في الزفاف.. ترقص قلبها مجرد أنه تذكر أن يرسلها لها. حاولت ألا تركز اهتمامها على كير. مع ذلك، كان من المستحيل ألا تتجوّ وراء الخيالات والأحلام.. لقد كان كريماً جداً معها يوم الميلاد.. والآن يهديها هذا. هل يعقل أنه بدأ يهتم بها شيئاً فشيئاً أكثر مما يهتم بواجباته الزوجية؟

- مع ذلك أريد منك أن تحصلي على هذا.

أدركت سيانا بعد فوات الأوان أن كل ما يمسك به كير هو مغلف أبيض.. مجرد بطاقة. وليست هدية «فالنتين» الإضافية التي توقعتها بكل غباء.

قالت مازحة: «الواضح أنك تفضل أن تكون معجباً سرياً».

وتذكرت فجأة أنها قامت بالشيء نفسه فتورد خداها.. أصابها الخوف عندما فكرت أن ترسل له بطاقة «فالنتين» لا تعبّر عن حقيقة ما تشعر به.. فاختارت بدلاً عنها بطاقة بكلام هزلي، أرسلتها عبر البريد، وهي تحاول جاهدة أن تخفي خط يدها.

www.rewity.com
بلا عنوان

لكن مزاحها فشل حين فتح كير البطاقة، فما كاد يقرأ ما في داخلها، حتى أظهر ابتسامة خفيفة، ثم ارتد بصدره إليها ويشكرها.. بتكبر يشم عن لامبالاة واضحة.

قالت له الآن: «أتريدني أن أتركهن عن هي أولاً؟»

-بل أريد منك أن تقرئيها حالاً!

زاد كلامه من توترها. أحست أن شيئاً ما ليس على ما يرام. ليست هذه بطاقة «قالنتين» عادية.. كما أنها ليست هزلية كرسالتها.

ارتجفت أصابعها وهي تفتح المغلف.. كان من المستحيل أن تمنع أمالها المتهورة من العبث بمخيلتها.. أو تكون الورود مجرد اختبار؟ لقد صمم على أن تعرف أن الرسالة منه.. وهكذا...

لم يكن فيه أية بطاقة.. تلاشت كل الإثارة التي رفعت معنوياتها قبلاً فانهارت إلى الخلف في مقعدها.. إذن ماذا في الرسالة؟

مرت بضع ثوانٍ من التردد قبل أن تكتشف أن قطعة الورق في يدها ليست إلا شيكاً.. ولزمها وقت أطول بكثير لتدرك المبلغ المكتوب فيه.. وتراقصت الأرقام أمام عينيها.

-ماذا..؟ أنا لا أفهم.

بجهد كبير، رفت عينيها بقوة لتمعن النظر ثانية.. أجبرت نفسها على التركيز.. فعرفت خط كير، وتوقيعه الثابت الذي يتجه إلى الأعلى ثم يحط بقوة إلى الأسفل.. لكن باستثناء هذا لم تفهم أي شيء آخر. فجأة، لاحظت أن قيمة الشيك مرتفعة جداً..

فارتفعت عيناها الفيروزيتان، الضبابيتان نحو عينيه: «كير ما هذا؟».

-ألم تحزري؟

كانت رنة صوته فظة، حادة، بعثت فيها توتراً ملحوظاً فأخذت ترتجف بتعاسة.

-بهذا الشيك أعيد لك كل فلس أدين به لك، إضافة إلى الفوائد.

«كل فلس أدين به لك» لكن، لماذا؟

خنيت السؤال الحقيقي، ذلك الذي يضج في رأسها، فراوغت أملاً في تفادي المسألة:

-لكن.. كير.. هذا كثير.. هل يمكنك تحمل المبلغ؟

أظهرت هدوءاً بعيداً كل البعد عن إحساسها.. لكنها سرّت بالنتيجة.. بدت باردة، وكأنها لا تعبأ بالنار المشتعلة في داخلها.

انفجر كير قائلاً:

-بل أستطيع تحمله!

هوى بقبضته على راحة يده الأخرى، وكأنه يعبّر عن سخطه. فأجفلت سيانا وتراجعت في مقعدها وهي تراقبه بعينين مشعتين قلقتين.

كانت تعرف أن شيئاً ما يشغله منذ عاد إلى البيت. لقد اعتاد على تغيير ثيابه ما إن يصل من المكتب ثم يرتدي ملابس أكثر راحة.. لكنه اليوم بقي طوال العشاء في بدلة كحلية قاتمة التفصيل، وقميص أزرق مع ربطة عنق.

بعث مظهره الرسمي في سيانا اضطراباً مثيراً في الواقع، وصعب عليها أن تتناول وجبتها اللذيذة فيما هو جالس أمامها بوسامة فائقة.. زادت ثيابه من جاذبيته، ومظهره الصارم الجميل.. لكنه بدا في الوقت نفسه بعيداً بارداً، وغريباً.. فأخذت تراقبه بقلق وتفرس من وراء رموشها الطويلة.

لقد اعتادت أن تختمي بأمها على مائدة العشاء كي تخفف من تأثير كير المقلق، أو تتجنب هذا الصمت غير المريح.. لكن الإعياء أصاب كارولين من جرّاء هذا الطقس الشتوي الرطب فأصر عليها كير أن تأخذ عطلة، لتزور بعض الأصدقاء في إسبانيا، إلى أن يتحسن الطقس.

وقفت سيانا بسرعة، وقد هدها الضعف:

-أنا آسفة.. لم أكن أعني.. لكن.. كيف..؟ لماذا؟

ورسم الفم الجميل ضحكة ساخرة. ثم ارتفعت الكتفان العريضتان بعدم اكتراث.

-كيف؟ بالعمل الجاد، والاستثمار الحذر. إضافة إلى بعض المضاربات المحسوبة في سوق الأسهم. أما لماذا.. حسن جداً.. واثق أنك تعرفين

www.rewity.com

الجواب.

- لترد لي مالي؟ لكن المال لم يكن قد ضاع.

ماذا يعني هذا التصرف؟ كيف سيصبح موقف كل منهما؟

- لقد اعتبرته هكذا.. مجرد قرض سوف لأتخلص من أزمة غير متوقعة.. أعرف أنني لن أستريح قبل أن أرده.. هكذا قمت بهذه المغامرات الخسوبة.

- كير.. كان يمكن أن تخسر كل شيء!

- لكن الأمر كان يستحق المغامرة.

- وهل يعني لك هذا الكثير؟ لكن لماذا؟

- أوه.. دعك من هذا يا سيانا! لطالما فهمت الأمور سريعاً.. كنت تعرفين أنني لن أكون زوجاً مروضاً كالكلب.. لن أكون رجلاً خاضعاً لأوامرك، يأتي حين تصفرين له. لقد أحدثت مالك لأنني كنت مضطراً. كنت أحتاج إليه. لكنني لا أحتاجه الآن.. هكذا..

قاطعته متوترة: «والآن؟ ماذا سيحدث الآن؟».

تكللت يداها بالعرق فمسحتهما خلسة بتنورة فستانها الأحمر القاتم..

ماذا يدور في خلد كير؟ كيف يتصور مستقبلهما؟ ماذا سيحدث الآن؟

ردد كير سؤالها في عقله.. لكن هل يعرف حقاً كيف يرد على السؤال؟

لو كان صادقاً تماماً، لتذكر بالأمور كما يجب، لكنه في الواقع، وكل تفكيره على الشيك.. لا، بل صب اهتمامه منذ ستة أشهر وحتى الآن على هذه اللحظة بالذات. سيرد لسيانا كل فلس من أموالها. وسينقذ الشركة ثم يتخلص من الدين، وبذلك يتخذ أسساً جديدة لعلاقته بها ويمكنهما البدء مجدداً.

لم تجر الرياح كما تشتهي السفن.. أولاً.. لا يبدو أن سيانا مسرورة بما فعل. إذ غادر المرح عينيها المذهلتين حتى بدتا كبحر الشمال في يوم شتاء.. أما وجهها فطفح بالبرودة واللامبالاة.

سألها كير بعدم اكتراث حبس أنفاسها:

- هل فكرت بتحويل هذا الزواج إلى زواج حقيقي؟ على أي حال.. نحن متوافقان كلياً. ويجب أن تعترفي أن علاقتنا الزوجية لا يمكن أن تكون أفضل حالاً.

ارتفع صوت سيانا بما يشبه الضحكة الهستيرية ثم أجابته بحدة وهي لا تصدق ما تشعر به:

- هل تطلب يدي مجدداً؟ لأنني بصراحة أذكرك أنني تلقيت عروضاً أكثر تملقاً! بحق الله.. كيف تظن أنني سأوافق على طلب كهذا؟

تساءل كير في نفسه: وماذا حقاً؟ ثم هز رأسه هازئاً من غبائه.. شكراً لله لأنه استطاع أن يخفي مشاعره الحقيقية. لقد سأل السؤال، لكنه لم يورط نفسه في مأزق.. وهو يتصور ردها تماماً لو أن الغباء دفعه إلى السؤال!

- ولم لا؟ لقد بُنيت الكثير من الزيجات على خطط أقل من هذه بكثير.. إنها بداية.

استخدمت سيانا السخرية حتى تخفي ألمها:

- لست أسياباً كاتية! وماذا سأنال بالضبط من هذا الزواج الذي تقترحه.. عدا علاقة زوجية صاخبة؟

والأسوأ أنها ودت بشدة لو تقبل! لو كان أكثر لطفاً.. لو أنه قدم اقتراحه من دون إهانة، لقالت، فعلاً، نعم.

- تتالين زوجاً ثرياً.. صدقيني سيانا، أنا ثري.. لقد غطيت الآن كل المشاكل التي واجهتني. سنحصل على طراز حياة جيدة.. على ولد.

ولد! طفل له شعر كير الأسود وعيناه البنيتان الكبيرتان.. إنه حياتها يتحول إلى حقيقة. لكنها لن تستطيع أبداً الاعتراف بهذا القدر.

- ما من طريقة! على الطفل أن يولد من أبوين يحبان بعضهما بعضاً حقاً.. فالولد يستحق أبوين يعلمانه الحب، ومعانيه السامية بتصرفاتهما الخاصة. أما أن تجمع بين الزوجين صعوبات مؤقتة فهذا هو الأسوأ!

حسن جداً، كير أليكساندر! الآن عرفت! هل تريد أن تسمع الواقع بوضوح أكثر؟ هل يمكنها أن تقولها بصراحة أكبر؟ هل سيفي فعلاً ليرى عزة

www.rewity.com

نفسه تنهار على الأرض تحت قدميها المتجمرقتين؟

- إذن، لا يمكن أن نتابع هذه العلاقة أبداً أليس كذلك؟ ومن الأفضل أن نفسخ العقد.

أحست سيالاً بالدم يغادر وجهها، حتى أصبح بارداً كالثلج.. فتحت فمها مرتين لتتكلم، لكن صوتها خذلها في اللحظة الأخيرة.. بذلت جهداً أكبر ثم جربت حظها مرة أخرى:

- أنت.. لا يمكن أن تعني هذا!

لا يستطيع! ليس الآن. ليس بعد. قد يكون بارداً قاسي الفؤاد، لا إحساس فيه، لكنه سرق قلبها، وإذا خرج من الباب، فسيأخذه معه. ليترك مكانه ثقباً أجوف مؤلماً.

ردد بصوت كله خطورة:

- بل أعنيه.. وأعني كل كلمة لعينة فيه.

ردت بعنف: «حسن جداً.. هذا أمر نموذجي. إنها أنانية ذكرية نموذجية. بما أنك حصلت الآن على كل ما تريد، لن توفر لي ولو مجرد فكرة!».

على الأقل، استطاعت أن توقفه عند حده. فقد تسمر مكانه وهو في منتصف الطريق إلى الغرفة.. ثم استدار ببطء وواجهها ثانية:

- كل شيء...

كانت عيناها تقدحان شرراً، وفي قلبها حزن قاتل. فقاطعته وقد خرجت الكلمات عن سيطرتها:

- أنت تعرف موقفي! كيف أقنع عمي بأن هذا الزواج حقيقي! يجب أن أبقى متزوجة بك وإلا خسرت كل شيء!

لن يدرك أبداً الصدق في هذه الكلمات. من دون كير، لن ترث بقية أموال أبيها.. ومن دون كير لن يهمها هذا أبداً. كل شيء سيفقد معناه، لن يعود للحياة معنى.

- إذا كان المال يعني لك الكثير.. فسأعطيك إياه.. قلت لك إنني

ثري..

ألهذا الحد يتحرق شوقاً للخلاص منها؟

- المسألة لا تتعلق بالمال فقط! يبقى المنزل، منزل أمي.. ثم، أتتصور ماذا يقول الناس لو تركتني الآن؟

- أعتقد أنك تعنين «بالناس» دين هانسون؟

لم يخطر دين ببالها.. لكن من الأفضل لها ألا تعترف.

- أنت مدين لي بسنة! هذا ما اتفقنا عليه! أريد هذه السنة، لا أكثر ولا أقل! وكما قلت من قبل.. هذا المال لم يكن قرضاً! أنا.. اشتريتك.. ودفعت لك..

إنها تتفوه بالحماقات.. عرفت هذا ما إن رأت العبوس الأسود المتوحش على قسمات وجهه، ثم رأت بريق الغضب الأصفر في عمق عينيه.

- الزوج المأجور.

صفعتها سخريته اللاذعة كجلدة سوط لكنها اضطرت إلى تجاهلها.

- لقد وافقت على البقاء اثني عشر شهراً لا سنة، ويجب أن تبقى!

- يجب؟

- لقد.. لقد وعدتني..

فجأة تغير مزاج كير، وتلاشى التوتر عن وجهه، فتهاوت كتفاه بشكل يثير الاضطراب، ثم مرر يديه في شعره الحريري الأسود دلالة الإحباط والغضب.

ردد دون معنى..

- لقد وعدت.. ويجب أن أفي بوعدي.

لا يمكن لأحد أن يجمع هذا القدر من العاطفة في كلمات.. فالعاطفة ما زالت تزهر في قلبه.. يحق الله.. كيف يتمكن من الاستمرار في هذه العلاقة وهو يشعر بما يشعر، ويعرف أن لا أمل في النجاوب؟ كيف له أن ينجر فيما لا يستطيع سوى الغوص إلى الأعماق فالأعماق، كما أثبتت له الأشهر المنصرمة؟

www.rewity.com

اعتقد أنه قادر على كل شيء: الشركة والزواج.. كاد يضحك عالياً على غبائه.. ها هي الأشهر الستة تمر، وسيانا لم تظهر بعد أي دليل على الاهتمام.. لا بل ازدادت بعداً ونفوراً.

لكنه وعد.. لقد لمست سيانا نقطة ضعفه، وأخذت تصوب إليها سهامها. إنها تعرف أنه لن ينكث بوعده قطعاً.. وها هو واقع في فخ امرأة لا تعتبره إلا مفتاحاً للوصول إلى ميراثها. وحين تنقضي الستة لن يفيدها شيء.. وستتركه يرحل من دون أن تلوح له وداعاً.. لكن تبقى المشكلة الحقيقية: هل يقدر على الصمود ستة أشهر أخرى من دون أن يفضح مشاعره؟ من دون أن تكتشف ما يشعر به حقاً؟

ـ حسن جداً سيانا.. تكسبين.. سأبقى.

حسن جداً.. تكسبين.. إنه يقر بالهزيمة.. لكن بما أنها كسبت، لماذا تشعر بمثل هذا الفنوط، وبالعزلة الكاملة، وكأن إحساساً مريراً جداً، إحساساً ميتاً جداً، كبير القيمة مات لتوه، أمام عينيها؟

لقد كسبت معركة ولكنها خسرت الحرب. أذعنت كبير بالبقاء.. لكنه سيكرهها أبداً لأجل هذا.. سيبقى لأنه مضطر، لكنه سيمقت كل لحظة يقضيها معها.

حين تنتهي الستة، سيهرب، يرمي القيود التي أجبرته على البقاء. في هذا الموقف الكريه، «الزوج المأجور» يهجرها دون أن ينظر إلى الخلف. أما هي فستضطر إلى تركه. ستتلاشى الأسباب التي كانت وراء بقائه إلى جانبها. مجرد التفكير بهذا ولّد الألم في قلبها وكأن لكمة أصابته.

حين تنتهي الستة! واضطرت سيانا لكبت صرخة الكرب التي كادت تفلت منها. وعضت بقسوة على شفتها السفلى لتسيطر على أعصابها.. قد تكون نهاية الستة نهاية لمشاكلها.. أما مسرح المشكلة الحقيقية، فيدور في الأشهر الستة القادمة.. كيف عساها تعيشها فيما مشاعرها نحو كبير مدفونة في قلبها؟

* * *

١١ ـ ماذا تريدين؟

لم تكن سيانا نائمة حين وصل كبير أخيراً إلى المنزل. بل كان النعاس يغالبها.. أحست أولاً بغطاء السرير يرتفع قليلاً، وبالفراش ينوء تحت ثقله، ثم دغدغت رائحة جسمه الدافئ أوصالها فصحت على الفور.. للحظات بقيت مستلقية وهي جامدة تماماً.. تتساءل هل تكلمه أم تحافظ على الدبلوماسية وتلازم الصمت؟ مرت عليها الأسابيع الماضية قاسية جداً.. فهل تريد أن تضاعف من صعوبتها على نفسها؟

في الشهر الذي تلا عيد العشاق «فالنتين» لم يكد كبير يكون موجوداً في حياتها.. ولولا أنه ظل يعود كل ليلة إلى البيت لظنت أنه أبداً.. كان يخرج باكراً في الصباح، غالباً قبل أن تستيقظ.. ويبقى في الخارج طوال اليوم، ليعود متأخراً أكثر فأكثر ثم ليتهاوى في السرير وينام.

كانت تعرف أنه ليس مضطراً لأن يعمل بهذه القسوة البالغة.. فشركة أليكسندر تتحول من قوة إلى أخرى. وتدر استثمارات بما يكفي من العوائد.. في هذه الحال لا تستطيع إلا أن تستنتج أنه يتعمد الابتعاد عنها، وأنه يبقى خارج المنزل ليتجنب مواجهتها.

ولم تعد تقوى على تحمل هذا. أخذت الأشهر القليلة الباقية من زواجهما تمر على هذا المنوال.. بدأت تظهر من حولها كل بشائر الربيع وصرعان ما حل الصيف برقة عين. وما إن ينتهي هذا الفصل حتى يذهب كل منهما في طريق.. وهكذا لم يبق لها معه الكثير. لذا، لا يمكنها أن تدعه يضيع منها

سدى.

تحرك كير إلى جانبها متململاً. فجأة، سمعته يتنهد بعمق.. ما سبب هذا القنوط يا ترى؟. إنها لا تدري.. لكن يجب أن تكلمه.. في الحال.

قالت بنعومة: «كير؟».

أحست بجسده الطويل يخجل على النور. «لم أعلم أنك مستيقظة».

بدا صوته في الظلام خالياً من الترحيب، من دون أي أثر للدفء فيه.

ليست هذه بداية جيدة.. لكنها اضطرت إلى المجاهل توتره، ثم تابعت:

- ستعود أمي في الأسبوع القادم.. فهل من أمل لتبذل جهداً حتى تعود إلى المنزل باكراً على الأقل في وجودها؟

رفع يديه ثم شبكهما خلف رأسه وأخذ ينظر إلى السقف.

قال بسخرية: «إذن هذا هو ما أبقاك مستيقظة حتى منتصف الليل.. حسن جداً.. لا داعي لأن تشغلي رأسك الصغير الجميل.. سأكون هنا».

سيكون هنا لأجل كارولين.. سيأتي لحظة تضع أمها قدمها في البيت.. وليس لأجلها، لأجل زوجته..

- شكراً.

لم تستطع أن تسيطر على صوتها.. بدت غير ممتنة، متوعكة المزاج، كريح شتائية قاتمة هبت باكراً من سبانيا. التفت إليها كير وقد أحس بتوترها. ثم قال بسخرية:

- لا يبدو أنك مسرورة جداً لهذه الفكرة. فهل كان ردي خاطئاً؟ هل كان من المفترض أن أرفض؟ لو غبت لساعات كارولين عن السبب!

- بالطبع لا! لكن هذا ما سيحصل لو أنك استمريت على هذه الحال.. ألا تظن أن الوقت مبكر جداً على المشاجرات التي ستوحي للناس بطلاقنا؟

- لم يدر هذا بخلدي قط!

لا سبيل لتفسير لهجة كير.. رفع نفسه عن الوسادة ليستند إلى قائمة السرير فصار من المستحيل عليها أن ترى وجهه. أو أن تقرأ أفكاره الغامضة.

- لكن لا أعتقد أنك تريد أن تعرف ماذا كنت أفكر حقاً.

- أو لن أريد!

ورفعت سيانا نفسها إلى أن استندت على الوسادة.. ومن خلال نور القمر المتسلل من الستائر، لمحت وميض عينيه السوداوين المخيفتين.

- وماذا تعرف.. يا زوجي؟

وركزت على الكلمة تبادله الاستهزاء.. ثم أكملت:

- ومتى عرفت أفكاري يوماً؟ فكل اهتمامك منصب على شركتك اللعينة..

قاطعها كير: «حسنٌ، حسن.. ما هذا؟ هل تزعمين يا زوجتي العزيزة أنك اشتقت إلي فعلاً؟ أأسمع هذا الاحتجاج منك أنت لا على لسان أمك؟».

يا زوجتي العزيزة!! قلبت السخرية جملة التحبب هذه إلى إهانة، وانغرز سكين في أعماق الجرح الذي أحدثته فيها.

وهنا طار التعقل والحكمة من تفكيرها فصرخت كالمجنونة:

- لا تنادني هكذا! ولا تجرأ بعد اليوم على استخدام تعبير زوجتي حين تشير إلي!

رد بلطف مخادع: «ولمَ لا؟ فهمت أنك زوجتي.. على الأقل في الوقت الحاضر».

فجأة غلى في رأسها غضب كبير شرس وجامح فاطاح بما تبقى من تعقلها حتى ودت لو تلعب بأعصابه لعباً. على أي حال، لعلها لا تطمح إلا لهذا! فكم سترتاح لو أفرجت عن هذا التوتر المحتقن كما يشرب الهواء الساخن من وعاء طهو يعمل على الضغط.

- أنا زوجة بالاسم فقط! زوجة لم تعامل يوماً كزوجة.. هل تعرف منذ متى.. منذ متى لم تؤدِ واجباتك الزوجية؟ لو كنت وجلاً مخلصاً، لاعتقدت أن لك عشيقة. لكنني لا أستطيع التفكير بهذا.. فمنافستي.. هي.. هي..

تماسكت بيأس بينما كاد لسانها يفضح لعبتها.. منافستي هي حب المراهقة.. وانقبض قلبها بذعر وهي تترقب جوابه:

- منافستي هي اهتمامك بشركتك!

www.rewity.com

انطلقت كلماتها في صمت الليل.. صمت جامد ساكن أخذ يشد على أعصابها بحدة، حتى اجتاحها الرد.. قل شيئاً! أخذت تتوسل بصمت، ترجو من كير أن يتكلم.. لكن الصمت امتد.. ليوتر أعصابها مع كل ضربة قلب خائفة.. ومع ذلك لم يبس كير بنت شفة.

بدت متوترة جداً وهي تترقب رده الغائب، وما إن تحرك فجأة حتى أجفلت مبتعدة. لكن كل ما أقدم عليه كير هو أن رفع يديه ليمررها على شعره، ثم هز رأسه قليلاً:

ـ لم يخطر ببالي أنك قد تشعرين هكذا.. أنا...

ـ حسن جداً، كيف توقعت أن أشعر؟ هل من المفترض أن أجلس بهدوء فيما أنت في الخارج تلعب دور رجل أعمال الستة؟

ـ لم أكن ألعب! كنت أكسب المال لأرده لك مالك.

ـ مال لم أكن أريده!

أخذ يتفرس بها بشدة من تحت جفنين نصف مغمضين إلى أن تململت بقلق فوق الوسائد.. كانت عيناها قد اعتادتا على الظلام، فظهر لها صدره القوي. كم تشوقت أصابعها للمرور على كتفيه العريضتين المستقيمين! لكنها اضطرت إلى إحكام قبضتيها، ثم أخفتهما تحت الغطاء حتى لا يعصيان أوامرها.

تلاعب نور القمر بوجه كير، فرسمت الظلال والمساحات بوضوح ملامح بنيته.. وتألقت بحيرتان عميقتان في عينيه.. صعقها سواد شعره على بياض الوسائد الناصع.. وصرخت إليها خصلة جبينه، تطلب مَن يرجعها إلى مكانها.

لكنها لم تجرؤ على هذا.. قد تصبح تصرفاته خطيرة، لا يمكن التنبؤ بها. ولشد ما رغبت في إثارة غضبه قبل لحظة، لكنها الآن مستعدة لأن تقدم على أي شيء حتى تتجنب هذا الغضب.. ومن المستحيل أن تعرف أيهما أكثر سوءاً.. ثار غضبه، أم برودة تصرفاته.. فكلاهما يدمرها بوحشية، كل بطريقتهما الخاصة.

تمتم بخشونة:

ـ ها قد عدنا مجدداً.. «لا أريد.. لا أريد...» هل يمكن أن تقولي لي ما تريدين؟

أوه.. هذا سهل.. لو أنها فقط تملك الجرأة لتخبره.

وهل تجرؤ؟ حدقت سيانا في فراغ عينيه المظلم، ثم سحبت أنفاساً متقطعة.

حين نظرت إلى كير مجدداً لاحظت توتره وتأثره ظاهرين عليه.. فهل لامبالاته إذن.. مجرد تمثيل؟ هل آلمه فراق الأسابيع الماضية كما آلمها هي؟ هل يلتهمه الحرمان الذي اختبرته، واختبره الآن، كما يلتهمها من الداخل؟

ـ لو كير.. ألا تعرف.. بالتأكيد تستطيع أن تخمن.

حافظ صوتها مزيج من التردد والرغبة الواضحة، وحين أرجع رأسه إلى الوراء قليلاً، عرفت أنه تأثر بتوسلها الناعم الرقيق.

سحب أنفاسه إلى رئتيه بجهد.. وكأنها عملية قاسية غير مريحة.

ـ أخبريني.

حفل صوته بخشونة ملحوظة. ضاعفت نبرته من غضب سيانا. على الأقل، ما زالا يتواصلان ولو بهذه الطريقة.

وسمحت ابتسامة خطيرة على أطراف فمها واستسلمت للإغواء. ورفعت يدها، لتلامس بخفة استدارة كتفه القوية. اتسعت الابتسامة عندما أحست بالرجفة التي أفلتت منه.. ومررت أصابعها بلطف على صدره فيما عيناها لا تفارقان ردة فعله.

للحظة واحدة، تركت أناملها تستريح فوق عنقه فأحست بالدم ينبض تحت أصابعها الرقيقة.. هنا، تحولت الابتسامة إلى ضحكة انتصار صامتة.. إنا لم تستطع أن تبقيه معها بأية طريقة فستحتفظ دائماً بذكرى هذه اللحظة.. هذا ما جمعهما منذ البداية.. صحيح أنه غير كامل.. صحيح أنها لا ترغب في هذا فقط.. لكنه أفضل من لا شيء.

ـ أنت تعرف ما أريد كير.. أنا أريدك.

www.rewity.com

سحب نفساً أكثر عمقاً، وأكثر خشونة من قبل.. إنه يضعف! لم تكن تدري لماذا ابتعد عنها في الأسابيع الماضية. أثاراً لكرامته المجروحة؟ أم تصميماً على العمل للشتي؟ لكن مهما كان السبب فمقاومته تضعف بسرعة.. وها هو السور الذي بناه بينهما يتصدع، ويتهاوى حجراً حجراً.. ما زال أمامها قليل من التشجيع، وينجح الأمر.

وسمت أصابعها دوائر رقيقة حائرة، فوق صدره، فوق شعره الناعم الأسود. فشعرت بعضلاته القوية تتقلص وتشتد تحت لمستها.. كان قلبها يخفق بألم، أما دمها فيغلي حتى الاحتراق.

ـ هل سمعتني كير؟

أدهشها أن يحتاج الأمر للكلمات.. لكن، لعله أرادها أن تتابع الإقناع..

ـ قلت إنني أريدك.

امتدت يد قاسية إلى يدها، التي ارتفعت لتوقفها عن الحركة.. وقال كير بوحشية:

ـ سمعت ما قلت.. لكن، يجب أن تغفري لي.. لست في مزاج ملائم هذه الليلة.

أدارت إلى وجهه عينين واسعتين مذهولتين:

ـ لست.. لست في... أنا لا أفهم.

ماذا حدث؟ لقد كانت واثقة من استجابته! آمنت بحرارة الشوق الذي يغلي فيه. كانت متأكدة أنها لا تحتاج إلى سوى التشجيع ليتحرر!

لست في مزاج؟ يا إلهي العزيز! أليكسندر من تحاول أن تخادع؟ يبدو الشوق جلياً كالألم في داخله، إنه يتشبث به بمخالبه. لقد أجابها بهذه الطريقة من قبل.. لكن رد الفعل أصبح فوق قدرته على التحمل.

أوه.. بإمكانه أن يترك نفسه بكل سهولة... يترك نفسه! وكاد يضحك لهذه السخرية المرة.. كل ما يستطيعه هو أن يمنع نفسه من الإمساك بها. لكن، لم يعد هذا كما كان أبداً.

السعادة.. المتعة الجسدية.. لا تزال موجودة، وهي تنمو وتتجذر كلما طالت مدة ارتباطهما. ولطالما اكتفى جسدياً.. لكن، في أعماقه، ينمو ويتسع ثقب عاطفي أسود ويزداد عمقاً مع مرور كل يوم فيما هو يتحسر على مهزلة زواجه.

كره كير ما يشعر به.. كان يخشى من يوم يضعف فيه فيندفع ليخبرها عن حقيقة مشاعره. قد يكشف لها عن مكنونات قلبه بصراحة. كان يخشى أن يسقط في فخ الشوق الحار، فيرفع حواجز بينهما ويخبرها أنه يحبها.

لذا ظل يكبح نفسه لأسابيع طويلة، ويقتعل الذرائع. كان يبقى في الخارج لأطول مدة ممكنة، ويعود إلى الفراش متأخراً أكثر فأكثر، يتظر حتى يتأكد من نومها. أو يتحجج بتعب هو بعيد عنه بأميال... كان مستعداً للقيام بأي شيء كي يتجنب مشاركتها الفراش وهي مستيقظة. والأسوأ أنه كان يقضي ساعات طوال وهو يشعر بجسمها الدافئ متكور إلى جانبه، وعطر بشرتها يداعب أنفه، قبل أن يداهمه النوم أخيراً.

لمعت عينا سيانا بدموع حاولت ألا تذرفها

ـ لست أنهم.. ما هذا؟ ألم أعد أستهويك؟

تستهويني! تلك الكلمة لا تصف أبداً ما يشعر به.. إنه يتضور شوقاً إليها.. جوعاً.. يريدها كما لم يرد أي امرأة في حياته.. لم يخف ذلك التصور يوماً.. لم يسكن يوماً!

لكنه لا يستطيع أن يتحمل هذه الصدمات العاطفية أكثر من هذا. لا يستطيع أن يصدق أنه لا يعني لها شيئاً.. كيف يصدق أن تفكيرها وقلبها لا يشاركان تفكيره وقلبه؟.. وأنها تقاومه بدين، وتتمنى لو كان إلى جانبها.

ـ سيانا.. قلت لك إنني لست في مزاج لهذا.

لو أن يدها بقيت أكثر على صدره لثبت لها كذب ادعائه.. راح كير يصمت يلعن أحاسيسه التي كادت تفضحه أمامها.

ـ لكنك لم تقربني منذ أسابيع!

ربما لم يقربها جسدياً.. لكنه لمرات لا تحصى كان معها بأفكاره، بحبه.

www.rewity.com

لكن ما أذهله أكثر من ذي قبل أنه في كل حلم من أحلامه كان يرى سيانا تجاهر بحبها له.

- لا داعي أن تفعل هذا يوماً بعد يوم!

- كير.. نحن لم نفعل ذلك في أي يوم.. ومن المفترض أننا.. عروسان جديدان.. نحن متزوجان.

ردد ساخراً: «أجل.. نحن متزوجان. وهذا ما حدث حين يتزوج المرء.. تهرب الرومانسية من النافذة.. ما إن يوقّع على تلك الورقة حتى يتغير كل شيء.. ويصحو على الواقع..».

- لكن زواجنا ليس عادياً، أنت لست زوجي حقاً.. أليس كذلك؟ وأنا لست زوجة كذلك. إنه ليس زواجاً حقيقياً..

- أنت قلتها.. سيدتي..

لو أنها رفسته في المكان الحساس، لما آلمته أكثر.. لكنه رحب بكلماتها بتأثير واضح.. فقد نجحت في إشعال حماسه.. على الأقل، سيتمكن الآن من النهوض من السرير ثم الابتعاد عنها دون أن يكشف الكذبة التي كان يمثلها طوال الوقت.

كان عليه أن يبتعد.. لم يعد بطيق البقاء، لم يعد بمقدوره أن يتكلم معها أكثر من هذا.. لكن عليه أن يتأكد أنها لن تلحق به.

- سواءً كان زواجاً حقيقياً أم لا.. حبيبتي سيانا.. لقد تلاشى السحر.. أعني.. انظري إلى ما ترتدين...

وبحركة متعجرفة، أشار بيده إلى قميص نفضاض قديم كانت ترتديه فوق ملابسها.

- هذا..

فاسكت بذعر.. وهي تعي بألم أنها كانت تعترف بالضياع والهجر. لقد ارتدت ثياباً قديمة لترتاح.. لكنها قالت كاذبة:

- إنها ليلة باردة!

- في منزل فيه تدفئة مركزية!

وفي محاولة ليثبت كلامه، رمى الغطاء عنه، وترجّل عن السرير، وكأنه لا يعبأ ببرودة الليل.. ثم سار متفاخراً في الغرفة ليتزع روبه ويلبسه، ثم يربط حزامه بشدة حول خصره.

احتجت سيانا بجنون: «لا يمكنك أن تتركني هكذا! لن أدعك».

- لا يمكنك منعي.

بدا رده بارداً كالثلج وقبل أن تستفيق من صدمة تعليقه القاطع كان قد خرج.

لفت سيانا ذراعيها بشدة حول جسمها النحيل، وكأنها تلملم أجزاءها المبعثرة. أصبحت وحدها.. في أعماقها أحست وكأن أضلعها تتفتت تفتيتاً... كل شيء تداعى وانهار. لا يمكن أن تعيد جمعه ثانية.. كان هجران كير فوق تحملها.. ومما زاد الطين بلة أنه هجرها ببرودة، وبسيطرة كاملة على النفس، دون أي أثر للغضب في صوته.

لقد أدركت نفسها أن كير سيظل قربها دائماً كما حصل في بداية الزواج. فإن لم يجمعهما شيء.. فالحرارة الجسدية المشتعلة كفيلة بإبقائه إلى جانبها حتى انقضاء مدة الزواج. ولقد اعتمدت على هذا، وسمحت لأحلامها بالسفر بعيداً.. نحو إحساس أكثر عمقاً.

الآن، تداعت أحلامها وعوت إلى الحضيض.. لم يعد كير يرغب فيها. لذا من الأفضل أن تستسلم.

لا! رفضت الفكرة حتى وهي تتكون في رأسها، ما زال أمامها أكثر من خمسة أشهر على الزواج. وستستغلها لتعيد كير إليها.. بطريقة أو بأخرى. إما هذا، وإما أن تواجه مستقبلاً بلا أمل ولا حياة.

سيكون الحب المنسوب أسهل الطرق.. لو تطلّب بقاؤه أن تعاشره زوجياً لمنحته ما يريد، وأكثر. كل ما عليها أن تفعله، هو أن تشعل النيران التي ستحولها من مجرد شعلة صغيرة إلى سعير نار.. وكبداية يجب أن تخلع عنها هذا القميص القديم.

جذبت الغطاء فوق القميص الملعون.. وجلست لتقوم بتخطيط جاد.

* * *

www.rewity.com

١٢ ـ خذني معك

ـ هالك! يجب أن يكفي هذا!

ابتسمت سيانا برضى وهي تعيد بطاقة الائتمان إلى حاملتها وتدفعها في حقيبة يدها. ستستريح الآن.. فقد قامت بجهد كاف اليوم! لكن، في النهاية سيستحق الأمر هذا العناء!

أو على الأقل، كانت تدعو الله في سرها أن يستحق العناء.. لقد خططت للقيام بهجوم كامل على أحاسيس كير.. فأنفقت صباحاً كاملاً عند المزين النسائي، وفي صالون التجميل، وحلت أكياساً مختلفة، كما لم تفعل من قبل. لكن ما هي خطوتها التالية؟ إنها نفسها لا تعرف... ويبقى اللهم أنها مصممة على خطوة ما. في النهاية، إما أن تكسب المعركة، وإما أن تسقط أرضاً وهي تقاتل.

لكنها، أولاً، بحاجة ماسة إلى ما ينعشها. كانت قدماها تؤلمانها، وحلقها جافاً... إنها بحاجة إلى شراب بارد قبل أن تعود إلى المنزل.

كان الملهى مكتظاً صاخباً، تسري فيه أحاديث مختلفة... فراحت سيانا تفتش عن مكان تودع فيه أكياس مشترياتها.. لكن بلا جدوى.. وفجأة تسمرت في مكانها. واتسعت عيناها الفيروزيتان بصدمة، فيما سرى الدم بارداً في عروقها.

أخيراً، تنفست بصوت مرتجف: «كير!».

كانت قد نسيت أنه مقهاه المفضل، وأنه لا يبعد عن مكتبه إلا بضع

خطوات، لطالما اجتمع فيه هو وموظفوه ليحتفلوا بعيد ميلاد أو بصفقة ناجحة.

لكنه الآن لا يجلس مع فريق من موظفيه. وليس ذاك الذي معه زبون وليس صديقاً أيضاً... ومع أن المرأة جالسة في أبعد جانب من الغرفة المكتظة، وتدير ظهرها إلى سيانا، إلا أنها تعرفها في أي مكان.

لا يمكن أن تنسى هذا الشعر الذهبي الأحمر، ولا تلك الضحكة الرنانة التي خرقت الصمت بدوي مفاجئ... مالت لتأخذ يد كير بين يديها... وعلى الرغم من بعد المسافة بينها لسيانا أنها فعلاً تشم رائحة عطرها القوي..

سرى فيها الذعر من رأسها حتى أخمص قدميها.. بعد لحظات من الاستغراب، خرجت مرة أخرى إلى الرصيف وهي تتنفس بصعوبة وكأنها كانت تغرق في سباق.

كير ولوسيل! كير ولوسيل.. مر الاسمان ككابوس رهيب في عقلها. كير وزوجة أبيه، المرأة التي ادعى أنه يكرهها.. لكن إذا كانت حاله على هذا النحو فلماذا يلتقي بها سراً؟

تأوهت سيانا وهي تتهاوى إلى الجدار، وتغمض عينيها بيأس.. لماذا آخر كير لهذا السبب لا بحجة عمله؟ هل يغيب عن المنزل بسبب لقاءاته مع لوسيل؟ و... إذا كان الأمر كذلك، فكم من المؤامرات يحيك أيضاً؟ ومنذ متى؟ أمنذ وافق على الزواج بها؟

خرق صوت قلق الدوار داخل رأس سيانا:

ـ أعذريني عزيزتي.. هل أنت بخير؟

ـ آه.. أجل! شكراً لك.. أنا بخير.. حقاً! أنا.. أحسست بالتعب وحسب.. بسبب الجسر كما تعلم.

أشار الرجل بيده إلى الملهى خلفها:

ـ هذه لندن... ربما من الأفضل أن تدخلي إلى هنا.. واستريحي قليلاً.

ـ أوه.. لا داعي لهذا!

من الأفضل لها أن تخرج من هنا.. أن تبتعد عن الأنظار بأسرع وقت

www.rewity.com

ممكن . . لئلا يخرج كير ورفيقته من الملهى في طريقهما إلى المنزل فيراهما .

- يجب علي أن أذهب في الواقع ، لكن شكراً لاهتمامك . .

تحركت حتى قبل أن تتم كلامها . . ولم تحرق على النظر إلى الخلف حتى لا ترى زوجها الطويل المتفاخر ، ولوسيل الأنيقة المرتدية بذلة عاجية .

في طريقهما إلى المنزل . . وماذا لو أن طريقهما لا يفترق . . إلى منزلين . . بل ماذا لو كان يتجهان إلى الوجهة ذاتها؟ ماذا لو كان كير ينوي أن يتوجه إلى منزل لوسيل . . فهو على أي حال ، يذهب إلى مكان ما حيث يقضي معظم أمسياته .

من زاوية خفية في ذاكرتها هاجمتها صورة من يوم عرسها . . تذكرت ذلك التعبير الفاسق على وجه لوسيل حين نظرت إلى كير . . وسمعت مرة أخرى ذلك التعليق المزدوج المعنى حين قالت: «لطالما أعطيت قيمة كبيرة لهذه الناحية . . أليس كذلك يا حبيبي؟» .

لا . . لن تدع نفسها أسيرة للبأس بل ستطلب سيارة أجرة . . لا تريد سوى الوصول إلى البيت ، سوى الهرب من هذه الصور المعذبة التي تساور خيالها . ومع أنها تركت الملهى ، إلا أنها لم تستطع أن تتخلص من ذكرى ما رأته . . لاحقتها الذكرى طوال الطريق ، وأثارت أفكارها طوال المساء .

زادت الأمور سوءاً حين تأخر كير مرة أخرى . مرة أخرى اقترب منتصف الليل من دون أن تسمع وقع خطواته المتثاقلة على السلم .

حين وصل أخيراً كانت في السرير . . كانت مترددة لا تعرف هل تبقى مستيقظة لتواجهه بما شاهدته ، أم تسكت . لكن المنطق انتصر في النهاية . . فهي لا تعرف بالضبط ماذا رأت ، أليس كذلك؟

أما إن كانت الأمور سيئة بقدر ما تخشى . . فلسوف تلتزم بخطتها الأساسية ، حتى ولو سافر كير . . إلى زوجة أبيه بالذات! . . ففي النهاية ، بمقدورها أن تعيده إليها لو صممت على هذا . . ثم ، ماذا لو أن نوايا كير لم تذهب بعيداً؟ . . بل ماذا لو أن لوسيل هي التي تهتم بهذا؟ . . أو ربما هي عشيقته منذ زمن بعيد .

قال متشدقاً بسخرية :

- ألا زلت تنتظرينني يا زوجتي الحبيبة؟ يا لإخلاصك!

وردت بحدة : «يا لكثرة تأخرك!» .

خفق له قلبها بغباء وجنون . . بما أنه متهكم المزاج ، فلا بد أنه قضى وقتاً مرحاً مع لوسيل ، وهل يمكن ذلك؟ .

- هل عدت بسيارتك إلى المنزل في هذه الحالة؟

- لا . . لقد استقللت سيارة أجرة ، لكن شكراً على اهتمامك .

- كنت أفكر بالناس في الشارع . أكره أن تؤذي أحداً وأنت في هذا المزاج الأرعن .

- هذا يوضح كلامك . . للحظة تساءلت هل دخلت الغرفة الصحيحة حقاً .

لن تستطيع أن تتحدث معه الليلة . . إنه لا يصغي إلى أي شيء تقوله . . وبما أنها تعرف أنه عصبي في هذه الأيام ، فلن تخاطر بانفجار نووي أبداً .

- لم أكن واثقاً إن كنت حقاً زوجتي الحبوبة المحبة . . .

- أنا زوجتك بلحمي ودمي . . كما ترى

أدركت أن تعليقها غلطة لا تعوض . رأته يدفع نفسه متثاقل عن الباب الذي يستند إليه . تحركت عيناه اللتان بلون الأونيكس الأسود من وجهها ثم مرتا بتكاسل على بشرتها العاجية ، وأمعنتا النظر على ساتان ثوب نومها الأسود الذي اشترته اليوم .

تمتم كير : «رأي لحم . . سيانا . . أنت تبدين . . » .

ثم صمت ، وكأنه يبحث عن الكلمة المناسبة . أما سيانا فحبست أنفاسها وهي تفكر في نجاح المرحلة الأولى من خطتها . . لكنها لا تعرف بالضبط كيف ستتصرف لاحقاً . . ترى ، هل ينبع تعليقه هذا من قلبه أم لا؟ لكنها على أي حال ، بداية .

أخيراً ، نطق الكلمة بتنهد عميق : «مدمرة . . » .

لكن ، ما هي إلا ثانية واحدة ، حتى تغيرت تعابير وجهه . . فاشتد ذكره ،

www.rewity.com

وتركزت عيناه عليها بوضوح فائق . . ثم هز رأسه قليلاً، وكأنه يبعد عنه فكرة غير مرغوب فيها.

في نهاية الأمر، قال بصوت مختلف، جاء أكثر وضوحاً وأكثر قسوة هذه المرة:

- ماذا تدبرين . . يا حبيبتي؟ هل تحاولين إغوائي؟

صرعها الألم وكأنه أسيد صبّ على قلبها. أصبحت النظرة في عينيه المحتقرتين صورة لكابوس. كم تتمنى أن يشتاق إليها، لكن ليس هكذا. . ليس هكذا!!

- كير . . لا تقل هذا!!

ردد ساخراً:

- «كير . . لا تقل هذا» أوه . . الآن عرفت أنك زوجتي حقاً . . الآن . .

لم تستطع أن تتحمل المزيد: «أتأتي إلى السرير، أم لا؟».

توقف لفترة طويلة فيما راحت عيناه تبحثان في وجهها . . وأحست سيانا بقلبها يرتفع إلى حلقها، ويتوه تحت ثقل آلامها. لن تتحمل أكثر من هذا، إنها تعرف هذا . . أما هو فلم يملك إلا أن هزّ رأسه . . وببطء شديد.

- لا . . ما من طريقة . . ليس إلى ذلك الفراش . . ليس الليلة . . . إذا كنت أريد النوم . . ومن المهم أن أنام . . فأنا مضطر أن . .

قاطعته متسائلة: «لماذا؟ أعني . . لماذا يهمك أن تنام الليلة؟».

- أوه . . ألم أقل لك؟ سأقود إحدى شاحناتي غداً إلى «كارديل».

- شاحنة! لماذا؟

- لا أحد غيري هناك . . لقد انتشرت الأنفلونزا هذه الأيام فأصابت السائقين وأوقعتهم كالذباب. على أن أسلم هذه الشحنة في الغد ومن دون تأخير. وأنا الشخص الوحيد الذي يملك رخصة السوق الضرورية.

أهذا عذر آخر لتجنبها؟

- سآتي معك!

خرجت الكلمات المتهورة من فمها قبل أن تتشكل الفكرة في رأسها.

رد كير بقوة وصراحة: «لا».

لكنها تجاهلت رفضه:

- بلى! أوه . . أوجوك كير! لم أركب يوماً إحدى هذه الشاحنات الضخمة. طالما أردت . .

أدارت عينيها الواسعتين إلى وجهه بتوسل، فاستحال عليه أن يرفض ما تطلبه . . لو أنه أكثر صفاء لجادلها ولأوقفها عند حدها حالاً.

- أرجوك!

- سأغادر في السادسة.

- سأكون جاهزة.

* * *

لم تستطع سيانا احتواء حماستها.

- هذا مرح جداً . من الذهل أن يحسّ المرء بارتفاعه عن الطريق هكذا . . بإمكاني أن أرى أميالاً أمامي.

لم يستطع كير كبت ابتسامة إزاء ابتهاجها. فأجابها:

- ما زلت أذكر شعوري عندما قدت شاحنة كهذه للمرة الأولى . . أحسست أنني وراء مقود دبابة.

لو كان صادقاً مع نفسه، لأقر أنه لم يتوقع أن تتمكن سيانا من النهوض من السرير والانضمام إليه في الصباح الباكر . . خاصة وأن الطقس لا يشجع على الرحلات . . لكنها أدهشته حين سبقته إلى الطابق السفلي.

نظر إلى وجهها المصمم، فعرف أن لا جدوى من منعها. وعلى أي حال، لا وقت لديه للمجادلة، ومن الأسهل له أن يوافق على قرارها بمرافقته. على الأقل، سيضطر إلى التركيز على قيادة المركبة الضخمة في مثل هذا الطقس السيء. فيعيد اهتمامه عن جيزها الضيق الذي يحتضن قدها المستدير، والكتلة الفيروزية التي تعكس لون عينيها.

قالت: «لم أعرف أنك تقود سيارات الشركة. لطالما تصورتك كمدير».

- كانت المسألة ضرورية في البداية . . فالركود في الشركة لم يسمح لي أن

www.rewity.com

أدفع أجور السائقين اللذين أحتاج إليهم . . وهكذا نلت رخصة القيادة في أسرع وقت ممكن . . وصرت أقود الشاحنات كبقية السائقين حتى تحسنت الأمور .

لم تحاول سيانا أن تخفي دهشتها وتساؤلها . إنها تكتشف جانباً مختلفاً في هذا الرجل ، الذي يدعى زوجها . . جانباً لم تحلم بوجوده يوماً .

بدا لها كير هذا ، أصغر بسنوات . . تلألأت عيناه البنيتان بشيء من الإثارة . . ومع أن جسمه استرخى قليلاً ، فقد ظل حذراً على تأهب للتصدي لأية مشكلة قد تطرأ عليه . . بدا قوياً ، يضج بالحياة ، وقد اندفعت العافية في جسده ثم تلاعبت به كعاصفة كهربائية . . وأحست سيانا بحماسه يتسلل إليها .

ـ لقد أحببت هذا . أحببت الحرية ، الساعات . . الأيام ، التي لم يكن فيها سواي . . حينها ، لم أكن مضطراً للرد على أحد .

ـ وهل أحبك هذا كثيراً؟ ظننت أنك كنت متفقاً مع والدك .

ـ مع والدي . . أجل .

لاحظت سيانا أنه ركز على كلمة «والدي» كثيراً فالتفتت إليه مقطبة . . .

ـ لكن ليس مع . . . ؟

عاودتها ذكراه في المقهى ، فانعقد لسانها وخافت من النتائج الوخيمة فيما لو صاغت السؤال فعلاً . . لكن كير أتمّ عنها الجملة برباطة جأش .

ـ ليس مع زوجة أبي . . أو حتى مع أمي . . يبدو أنني لم أتمكن يوماً من التقارب مع الجانب النسائي من العائلة .

حين سمعت سيانا التعليق البطن تململت في مقعدها وهي تعي بألم أنه يعنيها لكن شجاعتها خانتها فلم تجرؤ على ذكر لوسيل أمامه . . ومع أنها أدركت جبنها ، إلا أنها ظلت تلتزم موضوعاً أقل خطورة .

ـ ألم تكن علاقتك سهلة مع أمك؟

ـ هذا قول بعيد عن الواقع يا عزيزتي سيانا . . ما من أحد ارتبط بعلاقة سهلة مع أمي . . كانت امرأة متطلبة كثيراً . . مع أنها كانت في ريعان عمرها

إلا أن ذلك لم يحولها إلى قديسة . . فأحياناً كانت تحول حياة أبي إلى جحيم بتدمرها الذي لا يتوقف ، وتبذيرها البالغ فيه . .

صمت كير ليركز اهتمامه على مناورة الشاحنة عند أحد المنعطفات . وبعد أن عادا إلى الطريق المستقيم ، تابع كلامه وكأنه لم ينقطع :

ـ لهذا السبب أصبحت الشركة في حالة ركود حين تركت الجامعة . . أولاً بسبب المال الذي داومت على تبذيره وثانياً لأن والدي لحطم تماماً بعد موتها . لزمنا سنوات لنلملم الحطام . . وأنا واثق أن ضغط تلك الأيام وصعوباتها ساهمت في الأزمة القلبية التي قتلته .

التزم كير الصمت لكن مشاعره كانت تتكلم بوضوح .

ـ كل ما أستطيع قوله ، أن ما كانت تطلبه لا يساوي شيئاً بجانب طلبات السيدة دوف لبكستر الثانية وعجرفتها .

ـ لوسيل . .

ما إن همست سيانا باسم زوجة أبيه ، حتى ضاقت عيناها بغموض . وكرر :

ـ لوسيل . . ما بك سيانا؟

ـ أنا . . رأيتك معها بالأمس .

في البداية لم يفصح وجهه عن أي رد . . ظنته لم يسمعها . لكنه حين زفر بهدوء ساخط ، أدركت أن هدوءه يطغي مزيف أيضاً . وأن أحاسيسه أعمق بكثير .

فجأة ، أعطى كير إشارة الانعطاف إلى اليسار . ومال بالشاحنة إلى طريق زراعية تقود إلى محطة للسيارات . . بعد أن توقفا وأطفأ المحرك ، استدار إليها . بدت تعابير وجهه بعيدة باردة :

ـ لقد رأيت لوسيل معي . . وليس العكس . . هناك فرق كبير .

أرادت أن تصدقه بشدة . . كانت كل ذرة في قلبها تأمرها بتصديق روايته ، حتى تخلف من التعاسة التي تحملتها طيلة الأسابيع الماضية . لكن هل هي ساذجة بلهاء حتى تترك قلبها يسيطر على رأسها؟

www.pewing.com

لتمت: «كانت لسك سيك..».

ـ بالضبط.. كانت لسك.

ومد يده فجأة ليمسك بيد سيانا في حجرها.

ـ.. يدي.. أتفهمين؟

وبالطبع فهمت.. نظرت إلى أصابع كير النحيلة التي التفت فوق أصابعها.. فتذكرت بوضوح كيف مدت لوسيل يدها إليه، لكن هذا لا يعني أن لقاءهما كان بريئاً.. ولم تستطع سوى أن تهز رأسها بصمت، وكأنها تعترف بالواقع.

فجأة لفها صوته برقة لطيفة مضيفاً، فانتشلها من مزاجها المكتئب:

ـ سيانا.. أتغارين عليّ؟ ليس فيها ما أريده..

ولا في أي امرأة أخرى.. إذا صدقت رواية كير.

قالت: «بما أننا توقفنا هنا، فما رأيك لو نتناول شراباً؟ أكاد أموت عطشاً وأرغب في فنجان قهوة».

ما إن هز رأسه موافقاً حتى فتحت الباب ونزلت من قمرة القيادة المرتفعة. تبعها كير وهي تسير إلى المقهى.. كانا يقفان في الصف بصمت وفجأة أحست به يرفع خصلات شعرها عن مؤخرة عنقها، بإحساس بدائي.. ظلّ الصمت سائداً بينهما حتى جلسا إلى طاولة داخل المقهى.. عندئذٍ ارتدّ إليها، وعلى وجهه نقطية.

ـ يصعب عليّ أن أصدق أنك تعتقدين بوجود علاقة شائنة تربطني بلوسيل..

ـ وهل ذكرت علاقة سرية؟

ـ لم تكوني بحاجة لهذا، فكل شيء مكتوب على وجهك. لقد ظننت أنني تدبرت لقاءها...

ـ أولم تفعل؟

ما إن أجابته حتى تدمرت كل لامبالاتها الزائفة. فنظر كير إلى عينيها بعمق، واكتسى الجدّ تعابير وجهه:

ـ لا.. لم أفعل. اسمعي سيانا.. دعيني أخبرك ببعض الحقائق عن لوسيل.. عن المرأة التي ظننت أنني قد أعبث معها على حساب زواجي..

احتجت ساخطة: «ظننت؟ تقولها وكأنني أبحث عن..».

ـ حسناً.. ألا تبحثين؟ سيانا لقد التزمت بهذا الزواج منذ البداية. أنا زوج لستة، هذا ما وعدت به.. ولا أنوي أن أعرضه لأي خطر.

اجتاحها الخوف حين أحست أن الأمر لن يطول حتى تصدقه. تسمرت عيناه عليها فيما رن صوته بالإقناع. في هذه اللحظة، أحست أنها تتقبل كل ما يخبرها به.. خفت الجلبة حولهما حتى أصبحت مهمة بعيدة. لكن فجأة، اختفى الجميع ولم يبقَ في العالم إلا هي وكير.. هذا الرجل الذي تحبه بيأس ولا تجرؤ أن تفصح له عن حبها.

ـ أتعني.. لوسيل..؟

ـ أجل لوسيل.. المرأة التي حطمت قلب أبي، ومع ذلك لم تتركه وشأنه.. لم ترغب به يوماً، بل كانت تريد ماله. لذا التصقت «كالبطليموس» بشهادة الزواج حتى بعد أن فقدت معناها. كان لها علاقات متعددة.. وخلال زواجهما استنفدت ماله بكثرة نفقاتها.. وحتى بعد موته.. لم تتركه.. بل بقيت كالنسر الكاسر، تلتقط البقايا.

سكت قليلاً ليرتشف قهوته.. لكن سيانا كانت واثقة أنه لم يحس بطعمها.

ـ قانونياً، هي لا تزال زوجته.. حين هربت منه لم يستطع أن يجبر وصيه لذا من حقها أن ترث كل ما تركه لها.. وكان هذا انتقامها الأخير.. أخذت تنفق أموالي كلها حتى تشتري حصتها. ثم طلبت ضعف المبلغ.. ولو امتنعت عن الدفع لها لباعت حصتها إلى شخص آخر، ولأصبحت شريكة أبي وكل حياته، بلا وجود.. ولصرت يائساً جداً.

يائساً إلى درجة أنه قبل عرضها. ووقّع على خسارة حريته لمدة ستة كي ينقذ الشركة احتراماً لذكرى أبيه.

نظرت إليه بعينين رقيقتين:

www.rewity.com

ـ كير . . لست مضطراً إلى إخباري بهذا .

ارتفع رأسه فجأة ، وتوهجت عيناه البنيتان .

ـ أوه . . لكنني أريد ذلك . ألا ترين؟ أريد منك أن تعرفي أن لا شيء على وجه الأرض يجبرني على لقاء تلك المرأة الدنيئة . . لو لم تأتِ إلي في ذلك المقهى بالأمس . .

همس فجأة ، وهز رأسه ، وكأنما يريد أن يتخلص من الذكرى .

ـ لا يمكن أن أسمي إليها أبداً .

أحست سيانا أن مشاعرها تكاد تفلت من سيطرتها . . فتح قلبها ابتهاجاً ، وهي تلاحظ اضطراباً في وجه كير وقلقاً مداهماً في عينيه . . وانتعشت فجأة أنه يخفي شيئاً . . شيئاً قد يريح بالها .

لا وقت لديها لتراجع حديثهما . . لكن كلماته أطاحت بكل تفكير من عقلها .

ـ افهمي أنني قد أفعل أي شيء . . أي شيء على الإطلاق . . لتخرج لوسيل من حياتي إلى الأبد .

حتى أنه قد يقبل عرضها بالزواج ! ظنت أن كير لن يسبب لها مزيداً من الألم .

حينما بدا لها أنها أصبحت أبعد من أن تشعر بالمزيد من الألم ، أصبح واضحاً أن كير قادر على إيجاد وسائل جديدة لإغماد السكين عميقاً في قلبها .

* * *

١٣ ـ غرقت . . .

أخذت سيانا تدرس عن كثب الخريطة التي اكتشفت وجودها في قمرة القيادة .

ـ لم أكن أدرك أن «كارميل» قريبة من الحدود الاسكتلندية! لم أزر اسكتلندة من قبل . لذا ، أظن . . ؟ هل يمكننا . . ؟

رد بنبرة جافة ولطيفة في آن :

ـ أفهم تلميحك! أجل نستطيع أن نصل إلى الحدود ، لمجرد القول إنك زرتها .

ـ عظيم!

مع مرور اليوم ، بات من الصعب عليها أن تحافظ على حديث جذاب لا عواقب له ، ففضلت أن تحبس مشاعرها في الداخل . . لحسن الحظ كان كير لطيفاً معها فلم تجد صعوبة تذكر حتى تحافظ على رباطة جأشها .

ـ ما هو أقرب مكان سمعت به في اسكتلندة؟

ـ «غريتنا» بعد الحدود مباشرة .

راجعت سيانا الخريطة :

ـ «غريتنا غرين»! أوه . . أجل . أهي رومانسية كاسمها؟

ضحك كير ساخراً :

ـ رومانسية؟ . . انسي هذا الوهم فما هي إلا مجرد بلدة تجارية . . أوه . . لا تفقدي الأمل يا حبيبتي . . بما أنك تؤمنين بالحب الحقيقي ، أنا واثق أنك

www.rewity.com

مستغرقين بالرومانسية في مكان ما.

بدا كلامه حائلاً بعض حين أما سيانا فبقيت للحظات عاجزة عن التنفس لا تستطيع أن تفكر بتعقل.

سألت بصوت متردد: «الحب الحقيقي؟».

هل عرف؟ هل حزر؟ كيف.. كيف.. فضحت نفسها؟

- أوه.. هيا الآن يا حبيبتي! لا بد أنك آخر ما تبقى من الرومانسيين.. فعلى أي حال، أنت متمسكة بذكرى دين الغالي منذ وقت طويل..

- دين! أوه.. تعني.. دين!

- ومن غيره؟

ومن غيره!

صحبت سيانا نفساً عميقاً.. عليها أن تجد كلمات ما حتى تلهيه عنها فلا يمكن أن تتفوه برد قد يدمر التوازن في علاقتهما والواقع أنه ليس أمامها إلا مخرج واحد: الحقيقة. أو على الأقل جزء منها. فلتخبره بها حتى يتوقف عن سؤالها.

- دعني أخبرك عن دين.. كل شيء عن دين.

- كل شيء؟

كانت عينا كير مركزتين على الطريق، لكن سيانا عرفت أن كل عصب من جسده الرشيق يصغي إليها، وأن تفكيره كله منصبٌ على كلماتها.

- أجل.. كل شيء! وهي ليست بقصة جميلة.. كما أنني غير فخورة بها.. أترى.. لقد خدعت.. استغفلت.. ضللت.. كان دين هانسون كاذباً غشاشاً، مخادعاً طوال الوقت.. لكنني تركته يخدعني.. لأنني حمقاء ساذجة. ظللت أتجاهل إشارات التحذير كلها حتى طعنني في الصميم.

أحنت رأسها إلى الأمام، فانسدل شعرها الأسود كستارة ناعمة على وجهها، ثم نظرت إلى يديها المضمومتين في حضنها.

- التقيته في صالون التجميل حيث أعمل.. كان يافعاً في إحدى مؤسسات أدوات التجميل.. تبادلنا الإعجاب في الحال.. كان بي الطلعة،

فاتناً جداً.. قال إنني جميلة، وإنه لم يلتق بمثلي من قبل.. وإنني أفقدته توازنه منذ رآني.

- أي.. كل التفاهات المعهودة.. تلك الأكاذيب التي يتفوه بها الرجل حين يريد المرأة لغاية.

لكن كير كاد يخبرها بهذه الأكاذيب في بداية علاقتهما لو أنها لم تصدمه بطلب الزواج. ما كان سيقول تلك الكلمات في باب الخداع والكذب بل كانت ستخرج منه صادقة كل الصدق.

رددت سيانا: «التفاهات المعهودة.. حسن جداً وقعت في حبائله.. علقت السمكة بالصنارة.. ولفني بسرعة حول إصبعه الصغير حتى عجزت عن التمييز بين الليل والنهار.. كنت أحلم بأجراس العرس وبالسعادة الدائمة.. ثم عرفت الحقيقة».

- لا تكملي.. كان متزوجاً.

هزت رأسها باسترخاء وفي عينيها ضباب قاتم.

- متزوجاً وله ولد، ليس هذا فقط، بل وزوجته حامل..

أخذ كير يزيح الغبار بقسوة عن واجهة السيارة ثم أردف:

- هل هناك المزيد؟

- لم أكن الوحيدة.

صعب عليها أن تواجه الحقيقة.. لم تستطع أن تصدق أنها كانت ساذجة إلى هذا الحد. حمقاء، غبية عمياء دون إحساس. صحيح أن زوجة دين وولده بعيدان لأميال.. لكن المرأة الأخرى.. لطالما كانت موجودة أمامها.. تحت أنفها طوال الوقت.

أكملت كمن يصرخ متألماً:

- كانت جاكي تعمل في صالون التجميل معي. أراها كل يوم، أكلمها.. وأتناول الغداء معها.. ولم أشك يوماً!

أجفلت للحظة حين رأت ردة فعل كير السوداء المتوحشة ثم سمعت سلسلة الشتائم المنتقاة. وبعد برهة، هدأ قلبها حين تذكرت أنه أصبح يهتم بها

www.rewity.com

أخيراً.

ـ كنت أكثر حظاً من جاكي. . لأنني لم أستسلم له ولأنه لم يستطع جري إلى فراشه، أما جاكي فحملت منه وعندما أخبرته بحملها اختفى له كل أثر. . ما كان هذا؟

أخفى ضجيج المحرك كلمات كير. وحين أدارت إليه وجهها الشاحب، قال بوضوح:

ـ قلت. . إنك حظاً تختارين الوقت المناسب. . سيدتي.

قطبت بحيرة: «الوقت المناسب؟ أنا لا. . ».

أجابها ساخطاً: «سيانا. . أتعرفين ماذا يختلج في حين أصغي إليك من دون أن أتمكن من القيام بشيء. . ».

ضرب قبضته على حافة المقود بإحباط. . فتابعت:

ـ ركز على القيادة وحسب. . لا تقلق. . أفهمك. . . أعني ماذا يمكنك أن تفعل؟

ـ لو استطعت فقط أن أخرج من هذا الطريق العام اللعين، لأوقفت الشاحنة في الحال. . .

أذهلها الغضب في صوته، الذي امتزج مع شيء آخر لم تتمكن من تفسيره.

ـ لأخذتك بين ذراعي، ولضممتك وحميتك ولتركتك تبكين حتى أزيل كل ألمك وحتى تستعدي لمواجهة العالم مرة أخرى. . .

ـ لا. . لا بأس. . أنا لن. .

هذا غير صحيح! كانت الدموع الحارة تتوالد في مآقيها، تهدد بالسقوط بين الفينة والأخرى لتبرهن أنها كاذبة. . لكنها غير الدموع التي آمن كير أنها ستذرفها. . ليست دموع الخسارة والألم. . بل هي دموع الفرح والبهجة. . غمرتها السعادة لمجرد التفكير أن كير يريد أن يواسيها. . أن يأخذها بين ذراعيه، ويضمها إليه، حتى تتراقص دماءها في عروقها.

ـ لقد أهدرت دموعاً كثيرة بسبب دين هاتسون. . لكنني تجاوزته. . لن

أفكر فيه مرة أخرى.

لقد تجاوزته! اضطر كير أن يضاعف تركيزه على الطريق. فقد تردد صدى كلامها في أنحاء رأسه. . لقد تجاوزته. . لو أنها تعلم فقط كم طال انتظاره لهذه الكلمات. . وما إن حلّت اللحظة حتى ضاع وبات لا يعرف كيف يستجيب. . لن يستجيب وإلا تكون النتيجة حادثاً بشعاً على الطريق العام.

إذن، ماذا يفعل؟ اشتدت يداه بقوة على المقود فبعا بات قريبة لفكرة رهيبة. ماذا جاءت كلماتها بعد فوات الأوان؟ لقد تسببت هذه الأشهر السبعة بالكثير من الضرر. بدت علاقتهما هشة، من الصعب إصلاحها. . بدا من المستحيل أن يبدأ مجدداً.

والأسوأ أن الصداع يهاجمه مجدداً. تنهد بقلق وهو يدلك مؤخرة رأسه بيده. . لاحظت سيانا ذلك فسألته:

ـ هل من خطب؟

ـ أنا متعب. لم أنم جيداً ليلة أمس.

حين غفا أخيراً كانت أحلامه كلها عن سيانا. سيانا الجميلة الحساسة، ببشرتها العاجية الدافئة، بثوب نومها الأسود والمثير. كيف منع نفسه من الاقتراب منها؟ إنه نفسه لا يعرف!

ـ لكن، لا يهم. . كدنا نصل. عشرة أميال أخرى ونتوقف لقضاء الليل.

الليل. . سيانا. . أيتها الحمقاء. . ألم تفكري بهذا؟

ـ كيف. . أعني أين تنام عادة وأنت مسافر؟

أدار نحوها ابتسامة غريبة. . لكنها على الأقل تحتوي على مرح حقيقي.

ـ في قمرة القيادة. هناك مساحة كبيرة، وهي دافئة إذا استخدمت الغطاء. . لكن، لا تقلقي، لا أتوقع منك أن تشاركيني المكان، فقد لا ترحبك حميميته.

لو يعلم أن المكان الحميم هو ما تسعى إليه تماماً. لكن اهتمامه كان منصباً

www.rewity.com

على قيادته حتى فإنه تلاعب العواطف على وجهها.

ـ لقد اتصلت مسبقاً من أول محطة توقفنا بها وحجزت لنا غرفة في فندق.

ـ معاً؟

التفت إليها بحدة.. وبالرغم من نظرته القصيرة استطاعت أن تلمح المرح في عينيه.. لكنه بدا شاحباً، بشكل مقلق.

ـ لم يكن في الفندق إلا غرفة واحدة. لذا فأنا آسف.. مضطرين إلى النوم معي.

لا داعي للأسف «طبعاً» فهذا بالضبط ما تحلم به الليلة.

لكن، عليها أن تؤجل خططها الآن فكير يبدو مريضاً بكل تأكيد. كان وجهه خالياً من الألوان، ولا يكاد يستطيع أن يفتح عينيه.. أما بشرته فتضحت بالعرق والرطوبة.

سألته بلهفة: «كير.. ما الأمر؟ هل أنت مريض؟».

وبصوت متقطع أجش:

ـ إنه الصداع.. أنا لا أصاب به كثيراً.. لكن حين يفاجئني..

خطت إلى الأمام بسرعة، ثم أمسكت ذراعه:

ـ هاك.. استند علي.

توقعت منه أن يحتج لكنه أطاعها بسهولة غير متوقعة، كان شاحباً بشكل مقلق. انهارت ذراعه على كتفيها، يدفء وتناقل، واضطرت إلى شدّ ظهرها حتى تمسكه جيداً. بدت الرحلة القصيرة في الممر طويلة جداً، لكنهما في النهاية وصلا إلى غرفتهما.. ما إن أدخلته سيّانا حتى ارتمى متهاوياً على السرير.. ودفن رأسه في الوسائد، فصدمها هذا المنظر.. لطالما رآه قوياً، قادراً على مواجهة أي شيء!

ـ كير.. أين الدواء؟ ألا تتناول أقراصاً؟

ـ إنها في البيت، في لندن.

لن تفيده هناك.. لكن، يجب أن تفعل شيئاً لمساعدته. وفجأة هبط عليها الإلهام.

ـ سأخرج لدقائق كير.. لكنني لن أتأخر. أعدك! نصف ساعة على الأكثر.

لحسن الحظ وقعت على صيدلية في الشارع التالي، لذا لم تتأخر كثيراً.. ما إن دخلت حتى لمحت كومة الثياب إلى جانب السرير. جيد، لقد استطاع كير أن يخلعها قبل العودة إلى الأغطية.

ـ حسن جداً، هذا يسهل مهمتي.. هاك.. خذ هذه..

أطاعها كير كطفل متعب، فابتلع أقراص المسكن، ثم فتح عينيه ونظر إلى زجاجتي الدواء بفضول: «ما هذا..؟».

ـ زيت اللافندر وزيت اللوز.. سأمسدك بهما.. أنا ملاكة مذهلة، ألا تذكر.. كان هذا مصدر رزقي.. والآن استلقي على معدتك كي أفرك ظهرك.

ركعت إلى جانبه على السرير ثم خلطت الزيتين معاً، وصبت القليل على يديها... حين جهز المزيج، مسحته على طول ظهره. فإذا بالتوتر يكسو كل عضلاته. لا بد أنه متألم حقاً.

لكنها صممت على مساعدته فراحت تمرر راحتيها صعوداً من عموده الفقري المستقيم حتى مؤخرة العنق، ثم اتجهت إلى الخارج عبر كتفيه. وأخذت تشد على عضلاته المشدودة بثبات فتأوه كير..

ـ همم.. هذا رائع.

بدأ يسترخي قليلاً.. وخفّ بعض توتره تحت ضغط حركاتها المدربة.

ـ لا تتوقفي.

لن تتوقف لو استطاعت، واعترفت بهذا لنفسها.. إحساسها بدفء بشرته تحت أصابعها، ورائحة جسمه الممتزجة بعطر اللافندر، كل ذلك أعطاها إحساساً حقيقياً بالسعادة. إحساساً مثيراً لم تحس بمثله قبل اليوم.. وازداد تأثرها إزاء هاتين الكتفين العريضتين، المستقيمتين، وهذه البشرة الطرية.

وبدورها شعرت بتأثره، وأحست بتجاوبه.. وبسرعة اجتاحت الحرارة

www.rewity.com

وجهها، وتدفق في عروقها دفء ذهبي.

- سيانا..

لم يكد صوته يكون مسموعاً، فاقتربت نحوه أكثر.

- لدي ما أقوله لك.

- ماذا؟

- حول لوسيل...

- ماذا عن لوسيل؟

لم تتوقف يداها عن التدليك، فبالرغم من التوتر المزعج الذي بدا يداهمها، فهي لا تريد أن تسمع شيئاً عن زوجة أبيه.

- تلك العلاقات التي أقامتها...

كان واضحاً أنه يبذل جهداً ليتفوه بالكلمات.. لكن، من الواضح كذلك، أنه يريد منها أن تعرف مهما كلف الأمر.

- لقد حاولت معي.

- ماذا؟

فقدت توازنها لبرهة.. وتوقفت يداها عن الحركة.. لكنها استجمعت نفسها، وعادت تركز على ما تفعله.. قالت لنفسها: ركزي! احصري اهتمامك في عملك.. لا تتركيه يعرف كم أنت متأثرة!

- جاءت إلى ليلة سافر أبي. دخلت غرفتي ثم أخبرتني أنها سئمت أليكساندر العجوز، وفكرت أن تجرب الشاب.

- لكنك لم تعطها الفرصة بالطبع.

كان تصريحها بمثابة أمر واقع.. فهي لا تحتاج أن تفكر لتحزر ردة فعله.. فعلى أية حال، إنه يكره زوجة أبيه ويكنّ لها هذا الازدراء الكبير وهي تعرف أن قلبه ملىء بالوفاء لوالده وأنه لا يمكن أن يقدم على خيانته.

تنهد بارتياح: «أجل.. وخرجت، لكنني بقيت دائماً قلقاً».

- قلقاً؟

- خفت أن يكتشف أبي ما جرى.. وأن يصدق أنني شاركت في مخططها

الشنيع.. كان يمكن لهذا أن يدمر علاقتنا. أما هي فلم تستسلم قط.. حتى في يوم قراءة الوصية.. وبالأمس.. في المقهى.

- هي.. لوسيل.. سمعت إليك؟

- ما زالت تربطها صلة بالمكتب.. إنها تملك عيوناً تخبرها متى أكون موجوداً كل يوم.. ظنت أن زواجنا يواجه المتاعب، وأنها قادرة على اقتناص فرصتها.. لطالما أدركت أن هذا ما سيحدث لو عرفت بحقيقة زواجنا.

وصمت الصوت القلق.. فتساءلت سيانا هل نام كير.. لكنه عاد بعد لحظات، ليجبر نفسه على الكلام ثانية.

- واضح.. إنني قلت لها.. أن تذهب إلى الجحيم..

وهذا كل ما استطاع قوله.. وهذه المرة تام فعلاً، غرق في سبات عميق.

واصبحت أنفاسه متساوية، مسترخية، واسترخى الجسم الطويل أخيراً.

لم تحرؤ سيانا على المخاطرة بإيقاظه، فتابعت التدليك لدقائق إضافية، ولم تتوقف إلا حين عرفت أنه لن يحس بابتعادها عنه. بعدئذ رفعت البطانية فوق ظهره ثم استلقت إلى جانبه وهي تحدق في السقف وفي رأسها تطبع الآلاف والآلاف من الأفكار.

بعد وقت طويل في تلك الليلة، صحا كير من نومه وقد تلاشى صداعه، وأحس أنه رجل مختلف.. أحس أنه رائع.. وأخذ يتمطى بتكاسل. وفجأة تسمر في مكانه حين أوصلت حركته المرأة المستلقية إلى جانبه.

- سيانا..

كان صوته مجرد همس. ولكنه أوقظها على الفور. وانفتحت العينان الغريزيتان باتساع لتنظرا مباشرة إلى عينيه.

- ما الأمر؟ هل أنت بخير؟

كانت ابتسامته لطيفة، دافئة، ولو كانت سيانا ضعيفة لوصفتها بالمحبة. لكنها ليست حمقاء إلى هذه الدرجة.. مع ذلك لم تستطع أن تمنع نفسها من التلذذ بالكلمة ولو لبرهة.

- أنا بخير.. تدليكك فعل المعجزات.

www.rewity.com

طبع على أنفها قبلة ناعمة لكنها بقيت لثانية واحدة فقط، ثم ذهبت... فبكى قلبها من ألم الخسارة.

لكن، في طرف دقة قلب، رأت وجه كير يتغير. ثم لاحظت جموده المفاجئ، والظلام الدامس في عينيه.. فعرفت بماذا يشعر وتأكدت أن مشاعره ترجع صدى أحاسيسها.. وفجأة استيقظت أحاسيسها وتسارعت خفقات القلب وأخذت الحرارة تتدفق في كل أنحاء جسمها.

قال مجدداً: «سيانا..».

هذه المرة بدت لهجته مختلفة، فانطلقت من قلبها تنهيدة عميقة وعرفت أن لا مجال للتراجع الآن.

وهي لا تريد التراجع.. أبداً. هذا كل ما تريده. كل ما حلمت به.. فكل ما اشتاقت إليه، موجودٌ الآن، هنا في هذه الغرفة، وبين ذراعيها وضاعت.. غرقت في أعماق عينيه السوداوين. لكنها فريسة تأبى أن ينتقدها أحد من هذه الورطة.. إنها مولودة لتغرق هنا.. ومن دونه لن تكون كاملة أبداً.. كانت ابتسامته بطيئة، وشهلة.. وكانت تسمرها وبداه تدوران على استدارة كتفيها، ثم على ذراعيها.. وقال هامساً:

ـ أيمكن أن نتعانق؟

لم تصدق هذه النبرة المترددة، في صوته بل كانت هذه آخر ما تتوقعه.

رددت بتعومة: «أيمكن أن نتعانق؟».

كانت على يقين كامل، أنهما إذا لم يتعانقا.. فسنموت، أو على الأقل ستتمزق إلى شظايا صغيرة، من المستحيل جمعها مجدداً!

ـ حسن جداً كير.. بالطبع نستطيع! فنحن زوجان.

انسحقت ابتسامتها المشجعة تحت شراسة عناقه.. وأحست أنها عادت أخيراً إلى حيث تنتمي، فاستسلمت بكل إرادتها للحب الملتهب.

* * *

١٤ ـ معاً.. دائماً

تفحصت سيانا الروزنامة ثم تنهدت بعمق. لا يهم عدد المرات التي تفحصت فيها التاريخ، لأن الرزنامة ما زالت تعطيها النتيجة ذاتها.

بالطبع! بإشارة يائسة، رمت القلم فوق الرف في المطبخ، ثم تنهدت مرة أخرى. ليتها تستطيع أن تتخلص من قلقها بسهولة.. لكن هذا مستحيل.. ففي أعماقها شيء لن يثنيه ما.

حزيران.. الثاني والعشرين.. بعد شهرين بالضبط ستكون الذكرى الأولى لزواجها.. الأولى والأخيرة.. إنه اليوم الذي توافقت فيه مع كير على أن يكون نهاية لاتفاقهما. إذن، فبماذا سيختلفان؟ بالسنة التي جمعتهما معاً أم ببداية حياتين منفصلتين؟

منذ حوالي ثلاثة أشهر، كانا في غرفة فندق في «كارسل»، في الفراش معاً. تلك الليلة، أظهر لها كير حباً لم يظهره من قبل. غرقت في دوامة من الأحاسيس.. ووهبته نفسها من دون أي كوابح، ومن دون أي تفكير أو سيطرة أو تردد. وهو استحاب بالمثل.. أو هكذا آمنت.

لكن، في اليوم التالي، صرف النظر عن ذلك اللقاء، وكأنه خيال تداعى..

انتشعت الحقيقة في ذهنها.. وما غيرها؟ في الصباح التالي.. وفي كير بوعده، وأخذها عبر الحدود إلى اسكتلندة، إلى «غرينتا غرين». فيما هما هناك، أطلت عروس إلى حفل زواجها، مزدانة بفستان أبيض، وفي يديها باقة

www.liilas.com

من الزهور البرية، كان بواكيها عازف مزمار الغرب الاسكتلندي وهو يسير أمامها حتى مكان الاحتفال.

أخذ الزمّار يعزف، فاختلطت أولى النغمات الحزينة مع هذا الربيع البارد، عندئذٍ التوى فم كير وتمتم بسخرية سوداء:

ـ ها هي تذهب.. حمل آخر إلى المذبح.. انتصار التفاؤل على الواقع.

وقالت سيّانا لنفسها إنها كانت بحاجة إلى مثل هذا التعليق.. بحاجة أن تضربها الحقيقة الباردة على وجهها، حتى يتلاشى آخر بقايا الخيال الغبي الذي ما زال يتلاعب برأسها، المذهول بحرارة الحب بحيث لم يرَ الحقيقة الساطعة.

على أي حال، سبق لها أن وقفت أمام المذبح.. ألم تشهد براهين كثيرة تدل أن كير لا يرى في علاقتهما الجسدية المشبوبة البديل عن الحب؟.. كانت علاقتهما الزوجية تعبيراً عن مشاعر أكثر عمقاً، تقتضي من الطرفين المشاركة الفعالة والالتزام الدائم. لكن كير لا يملك فكرة عن هذا أبداً.. بالنسبة له، حرارة اللحظة هي كل شيء.. وعندما ترسم نقطة النهاية سيدبر ظهره ويبتعد عنها.

لكن بالنسبة لها، لن يكون هذا أبداً.. ليس بسبب شعورها نحو زوجها فحسب.. بل لأن مرور الزمن أجبرها على مواجهة حقيقة أخرى.. حقيقة فاتتها في البداية، لكنها تعرف الآن أنها واقع قاطع.

تلك الليلة في «كارسل» لأول مرة منذ زواجهما، لم يستخدم كير أية وقاية. إنها تعرف الآن، أنها حامل منذ ثلاثة أشهر من رجل لا يريد أن يستمر زواجهما حتى للذكرى الأولى له.

كان كير يراقب سيّانا خلسة من وراء الباب. ولكم غار قلبه حين رآها تتفحص الروزنامة بقلق.. من الواضح أنها تعد الأيام التي تفصلها عن نهاية زواجهما.. وانطلاقاً من تعابير وجهها، لاحظ أنها لا تطيق صبراً على النهاية.

ـ ما سرّ هذه التنهيدة الكبيرة؟

أجفلت سيّانا حين سمعت سؤاله المفاجئ فقفزت كقطة مذعورة

واستدارت لتواجهه:

ـ آه.. لا شيء! تقول الروزنامة إن الصيف سيكون مذهلاً، ولكن الطقس لا يبدو كذلك.

ضحك كير:

ـ إنه الصيف الإنكليزي. مطر مطر، والمزيد من المطر.. ما رأيك لو أبعدتك عنه تماماً؟ فلنذهب إلى مكان دافئ.. ما رأيك بإيطاليا مرة أخرى؟

ردت متسرعة: «لا.. شكراً».

كيف تعود إلى إيطاليا وذكريات شهر عسلهما، لا تزال حية في ذاكرتها؟ كانت تشك أنها قد تضع قدمها في تلك البلاد الساحرة مرة أخرى.. كيف تنسى السعادة التي غمرتها في تلك الأيام الغريبة، اللاواقعية من زواجهما؟.. أيام كانت فيها لا تزال قادرة على الاختباء خلف درع من الادعاء بأنها لا تحب زوجها.

ـ حسن جداً.. ما رأيك بالتشاء، على الأقل؟ فكارولين تزور أصدقاءها هذه الليلة، ولا داعي للقلق عليها.. يمكننا أن نستغل هذه الليلة.. واقفي سيّانا.. لدي شيء هام أريد أن أناقشه معك.

تلاعبت قوة بقلبها كالبهلوان:

ـ حقاً؟ مهم جداً؟ ما هو؟

لكن كير تبنى تعبيراً غامضاً مراوغاً وهز رأسه الأسود بإصرار:

ـ الليلة.. سأخبرك كل شيء.. الليلة!

هكذا كان الأمر منذ ثلاثة أشهر مرت.. بدأت سيّانا تتحضر للأمسية منذ عاد من «كارسل» أضحى كير رجلاً مختلفاً. وغيّر تصرفه بالكامل.

انقضت ساعات العمل الطويلة، وتلاشت الليالي المتأخرة، وأصبح كل شيء مجرد ذكرى.. وأصبح كير يأتي إلى البيت كل مساء. ويستريح في نهاية كل أسبوع من العمل.. لكن كان في الأمر أكثر من ذلك.... لم يكن فقط مجاملاً بهذا الشكل، حتى في الأيام الأولى، التي سبقت زواجهما. كان قبل زواجهما يصحبها إلى المطاعم وإلى المسرح وإلى الحفلات الموسيقية. وحين

www.rewity.com

ازدادت حرارة الأيام وطولها، وأبا على الخروج إلى الخلاء، وتنظيم الرحلات قرب البحر، ولو طلبت منها أحد أن تصف تصرفه بكلمة واحدة لقالت إنه «يتودد» إليها.

لكن التودد، يقود عادة إلى هدف ما. إلى خطوبة، أو زواج. وهما تجاوزا هذا منذ زمن. أما هذا التغيير فلا يقود إلا إلى الطلاق. فهو لم يقترح عليها مرة أن يلغيا الخطة التي أعداها منذ سنة تقريباً.

لكنها كانت تتمتع بهذه الطريقة الجديدة للحياة، فانجرفت معها، من دون أن تظهر أي احتجاج أو تطرح أي سؤال. وكانت ترحب بأي تصرف داقء، بأي اهتمام يظهره لها. بعد التجربة المدمرة يوم عيد العشاق، ظنت أنها خسرته، وأنه سينهي زواجهما في الحال، لكنها اليوم لن تتغاضى عن أي صفحة في كتاب سعادتها.

ظهر كير عند الباب وهي تضع آخر لمسات التبرج: «جاهزة؟».

ـ كنت قادمة لتوي.

دست قدميها في حذاء عالي الكعبين ثم ملست فستانها الحريري الأزرق الأنيق، واستدارت لتنظر إلى نفسها في المرآة.

ـ تبدين رائعة.

تلاقت عيونهما في المرآة، فلمحت الاستحسان الدافء في عمق عينيه وسرعان ما خفق قلبها بتوتر، وكأن أجنحة من الفراشات تخفق داخل صدرها.. كم قاومت كي تسيطر على نفسها من تأثير ابتسامته!

في الأشهر الماضية، كانت أيامها تمضي هادئة، دافئة مليئة ببهجة غير متوقعة، أما الليالي فشأن مختلف تماماً... لم يتكرر هذا الانغماس الحسي الممتع منذ تلك الليلة في «كارسل». لا شك أن كير اعتبره غلطة لا تغتفر فاتخذ طريقة صارمة ليمنع نفسه من التهور أو أنها كانت آخر شحنات الحرارة التي خبت نهائياً.

قالت بخفة: «ولا بأس بك، أنت أيضاً».

كانت البذلة السوداء تتناسب مع جسمه الرائع، وكأنها قفاز ناسب اليد

تماماً. التصق قميصه العاجي الناعم بعضلات صدره، فأبرز لونه الشاحب سواد شعره وعينيه.. وهكذا بدا كرجل الأعمال الذي تعرفه.

لكنها من ناحية أخرى، تعرف أنه يملك شخصية مختلفة هي شخصية الرجل المسترخي غير الرسمي.. فهو عادة ما يرتدي كنزة وبنطلون جينز. تارة يقود شاحنة قوية بسهولة فائقة ومتعة ظاهرة.. وتارة أخرى يبدو ذلك الرجل الرقيق الضعيف الذي فتح لها قلبه وحدثها عن ماضيه، عن مخاوفه الداخلية، عندما كانت تذلك ظهره. أخذ قلبها يتألم لأنها ستخسر هذا الجانب من زوجها. هذا الرجل الذي يختفي مرة أخرى وراء القناع الدنيوي الذي يظهره للعلن.

لقد قادها إلى مطعمه المفضل، وشجعها على اختيار أكثر الأطباق التي تشتهيها.. ثم سلاها بحديث مرح، حتى قهقهت عالياً.. في الواقع لعب دور المرافق بشكل كامل حتى كادت تنسى سبب خروجهما، ولكن عندما كانا يستعدان للرحيل تذكرت

ـ أخبرتني أنك تريد التحدث بشأن هام جداً.

بدا وكأنها ضغطت على زر، أطفأ نوراً في أعماقه.. فجأة تغير مزاجه، وتلاشى كل المرح من عينيه، فأصبحتا متجمدتين.. اشتدت عضلات وجهه، واختفت الابتسامة التي كانت ترتسم على شفتيه في لحظة.

ـ ليس هنا.

وقّع على فاتورة بطاقة الاعتماد بضغط عدائي حتى تمزقت الطبقة العليا من الورق.

ـ سنتكلم عن هذا حين نصل المنزل.

خفق قلبها ذعراً. وأحست كأن يداً باردة أخذت تلوي أعصابها، وتدمر كل السعادة التي أحست بها ذلك المساء. رافقها كير إلى الخارج، ثم إلى السيارة. في أثناء العودة تسارعت أفكارها وأخذت تحاول بيأس أن تتكهن بالغلطة التي ارتكبتها حتى تدمر ذاك الهناء الذي كانت تشعر به قبل قليل.

أما كير فبدا متراجعاً صامتاً.. ألقت نظرة واحدة إلى جسمه المنصلب إلى

www.rewity.com

جانبها، فعرفت أنه يتمنى لو كان في أي مكان ما عدا هنا.

حين بلغا المنزل، رافقها كبر إلى غرفة الجلوس الأنيقة، بديكورها البارد العاجي. لم تعد تستطيع أن تسيطر على نفسها. كانت متوترة توتراً دفعها إلى كسر الصمت وإلا انقسمت إلى شقين. استدارت إلى كبر بشيء يقرب إلى القنوط.

ـ كبر.. ما الأمر؟ عن ماذا تريد أن تكلمني؟

لم يرد.. ولم ينظر إليها.. بدلاً من ذلك قطع الغرفة ليصب فنجان قهوة من الإبريق الكهربائي الجاهز.. وقبل أن يعيد الإبريق إلى مكانه استدار إليها قائلاً:

ـ هل ترغبين في فنجان؟

ـ لا.. شكراً.

وصمت.. في تلك اللحظة، أوقفها شيء ما عن التفكير، ثم بدأ تفكيرها يعمل مجدداً، لكن في اتجاه معاكس تماماً.

حين رفع كبر إبريق القهوة ليصب منه، لاحظت ارتجاف غير عادي في يده.. وتكرر هذا حين أعاد الإبريق إلى مكانه.. فارتج قليلاً فوق الصينية.

كبر.. متوتر! هذا شيء لم تره من قبل. شيء ما أثاره بشدة.. وهذا الواقع البسيط لا يصدق، بل هو غير متوقع. اندفعت أفكارها إلى الوراء، وأخذت تستعيد كل ما حدث حتى تخرج بتفسير جديد لكل الأحداث.

قال: «ألن تجلسي؟».

أجابته عازحة: «وهل أنا بحاجة إلى الجلوس؟».

أيعقل أنها لم تفهم سلسلة الأحداث جيداً؟ ماذا لو أن كبر لا ينوي أن يخبرها بشيء مريع؟ بل على العكس؟ في مطلع هذه الأمسية أثرت أنها أعجبت بتصرفاته في الأسابيع المنصرمة لا سيما حين أخذ يتودد إليها كما في الماضي. فماذا لو أن هذا بالضبط ما ينوي أن يفعله.. الآن.. الآن..

ـ كبر.. أرجوك! ما الأمر؟

مع ذلك، لازم الصمت لبضع لحظات. وارتشف قهوته، وشفة بعد

رشفة. حين فرغ منها، تقدم ليجلس في المقعد قبالتها. بدا وكأنه يفتش عن طريقة ما ليستهل حديثه، وهذا ليس من عادة كبر الواثق البارد، كبر الذي تعرفه. الرجل الذي عرفت دائماً ما يقول.. فازدادت شكوكها السحيقة وغير الدقيقة قلقها.

شجعته بنعومة: «كبر..».

ارتفع رأسه الأسود وتصادمت عيناه البنيتان مع العينين القيروزيتين.. في تلك اللحظة رأت سيانا أن قناعتها الجديدة بدأت تتزعزع، وتسلل شعاع من الأمل من خلال ثقب صغير في قلبها.

ـ آن الأوان لنفكر في المستقبل. نحتاج للتفكير في الغد.. لنقرر أي تفسيرات سنقدمها...

ـ تفسيرات؟

جاء صوتها متكسراً أجش.. ولم تعد قادرة على استيعاب أي شيء.

ـ للفراق.

كانت كلمة مختصرة، باردة، وقعت على مسامعها كضربة هشمت أحاسيسها.. أضاف:

ـ نحن بحاجة إلى عذر ما للطلاق.. إلى حجة نخبرها للأصدقاء.. لأمك.. حين يتساءلون.

حين وعت ما يقوله أخيراً، أطبق شبح الحقيقة عليها حتى كاد يخنق روحها. لو أن كبر مد يده إلى داخل صدرها، وانتزع قلبها، لما تألمت أكثر من هذا.. أدغشت عيناها.. وسمعت ألف نحلة غاضبة تطن في رأسها. ثم عرفت أنها لو لم تكن جالسة لتهاوت منهارة أمام قدمي كبر.

ـ نحن.. أنا..

لم تخرج منها أية كلمة.. إطلاقاً.. كان الكرب يسيطر على عقلها.. لقد فلتت.. أملت.. أوه.. يا الله.. ماذا ستفعل الآن؟

وبدا أن كبر لا يعي كربها:

ـ إذا أحببت، سأتحمل المسؤولية كاملة.

www.rewity.com

كان يتكلم بصوت غريب، لا رنة فيه.. وكأنه يلقي خطاباً يريد أن ينهيه مهما كلف الأمر.. ولا نية لديه أن يخرج عن النص المحضر بأية طريقة.

ـ مسؤولية ماذا؟

ـ أسس الطلاق.. سأوفر لك قضية حقة.. الخيانة مثلاً.

ـ الخيانة؟.

كيف يمكن أن يتلفظ بمثل هذه الكلمة الرهيبة من دون أن يتأثر ولو قليلاً؟ أو.. كيف يمكنه أن يقترح فكرة كهذه؟

ـ هي أسهل طريقة.

ـ أسهل.. الخيانة مع من؟

سأله بصوت أجش، ثم رانته بعدم تصديق:

ـ امرأة ما.. أي كانت.. وهل يهم؟

ـ أوه.. بلى.. يهم؟ ويهم كثيراً! في الحق أن أعرف مع من ستخونني...

تدفقت الكلمات سريعاً وكأنها ساقية تجري بلا نهاية. ثم تبعثرت بشكل أحرق مع بعضها بعضاً...

ـ أريد أن أعرف من ستشاركك في تدمير زواجنا.

ـ لكن.. ليس لنا زواج لندمره.. وتعرفين هذا. كان الاتفاق...

صرخت وهي غير قادرة على التعبير عن بؤسها بطريقة أخرى:

ـ أعرف ما كان عليه الاتفاق! لا داعي لأن تشرحه لي.. أعرف ما اتفقنا عليه.

ـ إذن، أنت توافقين أننا بحاجة إلى ترتيب خططنا..

ـ لا...

ما إن تلفظت بهذه الكلمة حتى وقفت لتبتعد عنه، وهي لا تقوى على النظر في ذلك الوجه البارد الخالي من العاطفة.

ـ ماذا؟ سيّانا.. ماذا قلت؟

وقع نظرها على رف المدفأة أمامها، حيث تبعت صورة ملونة ليوم

زفافهما، كانت أمها قد وضعتها هناك. فأجفلت سيّانا بشدة.. وأشاحت بوجهها عن تلك الابتسامة الشرقة، وعن الرجل الطويل الفاتن الوسامة إلى جانبها.

وما لبثت أن أجبرت نفسها على الاستدارة نحوه ببطء.

ـ قلت لا.. لا أريد أية ترتيبات.. ما زال الوقت مبكراً.

ـ لكن السنة ستنتهي بعد شهرين.

وزاد من التركيز على هذه النقطة حين ضرب بقبضته على ذراع المقعد أمامه.

ـ أعرف هذا.. لكن..

ماذا يمكن أن تقول حتى تقنعه؟ كيف لها أن تأمل بتغيير رأيه؟

لن تستطيع.. إنه يائس ليتحرر من الزواج، ولسوف ينفصل عنها مهما فعلت. ألا يجدر بها أن توافق، فتتركه يرحل بسهولة؟ على الأقل، بهذه الطريقة، قد يبقيان صديقين.

لكن.. أوه.. عصرت يد قاسية قلبها. فاضطرت إلى كبت أنة الألم التي ولدت فيها.. إنها لا تريد أن يكونا مجرد صديقين.

اضطرت إلى التلعثم بكلمات لم تفهمها.

ـ حسن جداً. حسن جداً.. سنفعل كما تقول. لكن، هل فكرت بأمي؟

ـ كارولين؟

لأول مرة يتردد في قراره. تراجع رأسه إلى الوراء بحدة، واتسعت عيناه بشيء يشبه الصدمة.. وتوترت حركاته فجأة. رفع فنجان القهوة إلى شفتيه، ليشرب ما تبقى منه، قبل أن يدفع بنفسه إلى الوقوف ويتقدم إلى الصينية ليسكب فنجاناً آخر.

سألها: «ماذا عن كارولين؟».

كانت ضربة قاسية، واحدة من بين العديد من الضربات المؤلمة التي تلقتها، كم يهتم لأمها! لقد اكتسى وجهه مزيجاً من القلق والخوف على كارولين بينما لم يهتم بها البتة.. لكن هذه العاطفة هي السلاح الوحيد المتبقي

www.rewity.com

لها، وهي مصممة على استخدامه من دون رحمة، قدر استطاعتها.

- ألا ترى أنها ستلام كثيراً لمجرد التفكير أنك خطبتي بعد زواجنا مباشرة؟ سوف يربعها أن تعرف أنك أناني، وهي تحترمك... ومعجبة بك.. إنها تحبك كثيراً!

- أتظنين أنني لا أعرف هذا؟

أعاد فنجانه إلى الصينية بقوة..

- أتظنين أنني لا أعرف كيف تشعر كارولين؟ لكنني لا أستطيع التفكير فيها.. يجب أن أركز اهتمامي عليك. على ما تريدين.. وإلا لن أستطيع أن أفعل هذا. أنا..

- مهلك لحظة!

صدمه عنف سيانا فصمت حتى أطبق السكوت بظله عليهما.. أما هي فهزت رأسها ببطء.. وحاولت أن تصفي أفكارها، قبل أن تستدير وتنظر إليه:

- ماذا قلت؟

- إنني مضطر أن أفعل هذا لأجلك.. إنني..

- لكن.. ماذا لو لم أكن راغبة فيه؟

كانت تظن أنه من المستحيل أن يزداد شحوباً.. لكن وجهه بات رمادياً من وقع الصدمة.. تقدم خطوة واحدة نحوها، ثم توقف، وعيناه لا تفارقان وجهها لحظة.

- أنت..؟

- لا أريده كير.. أريد أن أبقى متزوجة بك. أريد أن نجرب حظنا مرة أخرى.

لم تكن الكلمات كافية لوصف مشاعرها، لكنها لم تجرؤ على كشف المزيد، ولا على إظهار مشاعرها الحقيقية، قبل أن تعرف ردة فعله.

هز رأسه بثبات: «لا أظن هذا.. لن ننجح».

- ولمَ لا؟ بالتأكيد يجمعنا شيء مميز...

- ما هو؟ المعاشرة الزوجية؟ أهذا حقاً أمر مميز؟ أهذا هو كل ما يهمني برأيك؟ أو أنه ينفصح عن أي شيء من مشاعرك؟ أتظنين أنني أصدق أن استجابتك لي تعني أنك تحبينني؟ لست أحمق لهذا الحد!

أخذت نفساً عميقاً مضطرباً:

- هذا جزء من كل.. كير..

أصبحت الآن تملك اهتمامه الكلي.. لكنها لم تعرف كيف تبقي عليه والمشكلة إنها تعمل كالعمياء، وهي عاجزة عن قراءة أفكاره، وهاتان العينان السوداوان لا تفصحان عن شيء.

- هل ستبقى لو أخبرتك أنني حامل؟

كانت مستعدة لاستثمار الكثير من العواطف مقابل موافقته.. لذا شعرت بأن عالمها يتدمر وهي تراه يهز رأسه ويقول:

- يجب أن يكون للطفل أبوان متحابين.. شخصين يالسين اقترنا بالاسم فقط. سأكون دائماً موجوداً لأدعمك وأدعم الطفل سيانا فأنا أريد أن أكون أباً حقيقياً، ولطالما آمنت بضرورة زواجي من أم طفلي.. هذا ما كنت أريده.. لكنني لا أستطيع إجبارك على شيء كهذا. لا أستطيع أن أربطك بزواج لا تريدينه.

هكذا عرفت سيانا.. أدركت بثقة مطلقة أن كير يحبها.. أنه قد يقف ضد حاجاته، ومعتقداته، إذا ظن أن هذا سيسعدها.

أكمل: «يجب أن يكون المرء حراً ليعثر على من يحب».

- لكن.. كير.. لقد عثرت عليه.

أدار نحوها نظرة بلهاء اخترقت قلبها حتى مزقته من الأعماق.

- عثرت عليه.. ومن هو؟

- ومن تظنه كير؟ يجب أن تعرف أنه أنت!

نظرت إلى وجهه الوسيم وقد اجتاحه الصدمة، وعدم التصديق:

- أنا لا أعرف شيئاً من هذا!

- إذن دعني أفهمك هذا.. أنا سيانا.. أحبك، كير، من كل قلبي. ولو

www.liilas.com

سمحت لي سأكون زوجتك في الصحة والمرض، في الغنى والفقر، وفي السراء والضراء. . لتك فقط تسمح لي أن أصبح زوجتك حقاً.

تراقصت آخر كلماتها مع شهقة عميقة، أفلتت منها حين عصف بها بين ذراعيه، وسحقها على صدره. ووضع يده تحت ذقنها، يرفع وجهها حتى التقت عيونهما التي كانت مشرقة بالإخلاص القوي والحقيقي وكان أن تلاشت آخر ذيول المخاوف في خضم الحرارة العاصفة.

- إذا كنت تحبينني. . فلن أتركك طالما بقي لي رمق من الحياة.

أطلق من أعماق روحه تنهيدة سعادة صاخبة ثم عانقها بفرح وشغف معبراً بذلك عن مشاعره بطريقة لا تستطيع الكلمات أن تفصلها. دار رأسها وأصاب الانهيار قدميها، إلا أنها لم تستطع سوى أن تتعلق به وتستجيب له. كانت ترغب أن يعرف أن استجابتها تنبع من قوة مشاعرها الغامرة نحوه.

حين ابتعد عنها أخيراً، كان كلاهما يرتجف برغبة عميقة وعاطفة صادقة. . وعرفت أن اللون الأحمر على خديه يعكس التورد على وجهها.

قال: «علي أن أنطلق يا حبي».

تضاربت مشاعرها بين بداية جملته وكلمة حبي فازدادت حيرتها.

- لكن. . كير. . لماذا؟

- كي نبدأ من جديد. كي أطلب يدك كما خططت، كي نتزوج مرة أخرى، وبطريقة لائقة. .

- كما خططت؟ كير. . هل تقول إنك. .

- إنني كنت أنوي دائماً أن أطلب منك الزواج. منذ البداية، عرفت أنني أريد الزواج بك. لكنني أردت أن أمنحك وقتاً كي تتخلصي من ذكرى دين. . وأردت أن أنهي مشاكل الشركة كذلك، كي أستطيع أن أعدك بمستقبل آمن.

لم تفكر يوماً أنه كان يشعر هكذا:

- ما كان هذا ليهمني.

- لكنه يهمني أنا. . اعتقدت أن أمامي وقتاً كافياً لمعالجة مشاكلي ولآتيك متحرراً من كل قيد. . لكنك سبقتني بطلبك. خشيت أن أقول لا، فتبحثين

عن رجل آخر. . لذا غامرت بكل شيء. كنت متعجرفاً بما يكفي لأظن أن السنة ستكون أكثر من كافية حتى تهتمي بي. .

همست، ورأسها على كتفه: «لم تلزمني تلك المدة. . عرفت أنني مجنونة بحبك قبل نهاية الستة أشهر».

- أنت. . ؟ في عبد العشاق؟

هزت رأسها وهي تؤكد ظنه.

- لم أحتمل أن تترك الاتفاق. كنت مذعورة من أن تخرج من حياتي إلى الأبد.

- لم أفكر في هذا قط. . كل ما أردته هو فرصة لأعرض عليك الزواج على أسس متساوية، من دون أن أكون مجرد زوج مأجور.

لا يمكن أن يكون مجرد شيء كهذا في نظرها!

- لم تكن هكذا يوماً. . لكن، ما دام هذا شعورك فلماذا هجرتني؟

- كانت مشاعرنا عقبة في الطريق. . كنا نتهاوى إلى الفراش بدلاً من الجلوس لنتكلم، ولنتحاسب. أردت العودة بعلاقتنا إلى الوراء لبضع خطوات، كي نستطيع أن نتعلم كيف نتعرف على بعضنا جيداً. ولم أستطع تحمل النوم معك وأنا أظنك لا تحبينني.

- أستطيع أن أصدق هذا. لكن ما لا أفهمه هو لماذا قلت ما قلته في ذلك اليوم في اسكتلندة.

التقط كير فوراً ما يمر بأفكارها.

- في «فريتنا»؟ آه سيانا. . لبتك تعلمين كم ندمت على هذا فيما بعد. ولكنني أحسست بغيرة عاصفة حين بدا ذلك الزفاف، زفافاً حقيقياً. . زفافاً لطالما حلمت به لنفسي.

قالت، وهي تبتسم في وجهه، وترى الحب يشع في عينيه الصافيتين:

- حسن جداً. . سيكون لنا هذا الآن. . بإمكاننا أن نبدأ من جديد.

هز كير رأسه ببطء، وهو يفكر:

- ما رأيك بمراسم خاصة يوم عيد زواجنا، ونحن الاثنان فقط. سنجدد

www.rewity.com

القسم، نحوله إلى حقيقة دائمة هذه المرة.. سيكون زواجاً يدوم إلى الأبد.

همست: «سأحب هذا. لكن، فقط، إذا لم تكن تمانع بعروس حامل».

ـ أنا لا أمانع..

ثم صمت مصدوماً وقد هبط تأثير كلامها عليه تماماً.

ـ أكنت تعنين ما قلته؟

تورد بشرتها العاجية الشاحبة حين رأت ابتسامته المبتهجة المشتعلة:

ـ كنت أعنيه.. لذا أخشى أننا لن نكون «وحدنا» حتى وقت طويل.

ـ أتعتقدين أنني أمانع؟ لا يمكن أن أكون أكثر سعادة.

ضمها كير إليه أكثر، وقبلها بمحبة في زوايا فمها المبتسم.

حين همس في أذنها، مرت أنفاسه الحارة كالريش على بشرتها.

ـ لقد كذبت.. أتعرفين.. لم أكن لأتحمّل أبداً أن أتركك تجدين رجلاً آخر.. أردتك كلك لنفسي.. لطالما آمنت أنني لو تزوجت، فسيكون هذا العمر كله.

ـ أوه.. كير..

وتنهدت سيانا، وبدأت أمواج الشوق الحارة تجتاحها، تهدد بأن تجرف كل تفكيرها المتعقل.

ـ ذلك الاتفاق بيننا.. أتظن أننا نستطيع أن نمدد الشرط الأصلي إلى أكثر.. فلنقل إلى العمر كله؟

قال بخشونة: «بالكاد يكفيني هذا».

ثم حملها بين ذراعيه، واتجه إلى السلم ومنه إلى غرفة النوم.

ـ وبقية العمر، تبدأ منذ الآن.

* * *

النهاية

www.rewity.com